الخزائن الرابعة

باب رحمات الرحيم انفتح ، سنا سمات الكريم سَنَح
فجَرَت أقلام كالأفلاك العالية ، ورَسَمت جنّات قطوفها دانية
فاقطف بيد الحب ثمارها ، وتلطّف لتخترق قلبك أنوارها
بصفاء الإيمان فاض القرءان ، بإسلام القلب رَسخ الفرقان
هذه كنوز من تحت عرشه العربي ، سافر لمشرقها لا تعكف عند الغربي
شمس الحقيقة تغرب باللفظ ، لا حظَّ في لفظ بلا لَحظ
انظر بعينك لا تكن مُقلِّدا ، جَرِّد روحك لا تكن مُجَسِّدا
الروح حرّة ما دامت مُتفردة ، احذر مسخ الخنزير والقِرَدة
تُخنزر عقلك بربطه بالزمان ، تُقرِّد ذاتك بعبادة إنسان
أنت واحد من واحد جئت ، لك ما عقلت ولك ما شئت
هذا كتاب من عطاء المتوحّدين ، لأهل الإطلاق ليس للمُتَحدِّدين
نزل لكسر أصنام الدنيويين ، ولتحطيم أوثان المنافقين
ولبيان الحق بين المسلمين ، وتأنيس القلب الطاهر للعارفين
بفضل مَن جوده كالطوفان ، ومدد رب هذا القرءان
نور محمد تجدد ظهوره ، وبي من الغيب تمّ عبوره
ولولا قول الله ربي "عَلِّم كتابي" ، و"لا تسألني كأني لم أنزل كتابي"
وعمود نوره وسماع كلامه ، والاتحاد الحق بقلب نبيه
وتقبيل الولي يدي اليمنى ، وأمر بتبليغ عمل النبي الأسنى
لما باليت بالسماء والأرض ، ولا التفتّ للطول والعرض
ولا نطقت بحرف ولا همست ، ولكان حسبي لي ما اقتبست
لكن شاء الذي لم يزل رحيما ، وفيض كلامه لا يزال عميما
فبعثني بثعبان القرءان للإحياء ، وأورثني أسماء حقائق الأنبياء
ولا حول لي ولا مقدار ذرّة ، به صارت كلمتي هي الدُرّة
أعلم أني عدم وهذا شرفي ، تعليمي لله لستُ بِحِرَفي
لستُ مُغنّياً ولا أسجع كالكهان ، بل أتلطّف حتى يسهل البيان
تعلّق بالحق وادرس كتبي ، لعلك تتّصل بربّي عبر قلبي
الفتح منه وحده فهو الفتّاح ، عندي الباب وعنده المفتاح
لا خير فيك إن عبدت بشر ، إيّاك وخيالات مَن سَحَر
كل ما في العوالم أمثال ، افتحها بالتأويل كن كالرجال

قف على رجلي عقلك وإرادتك ، واسلك متذللاً سُبل ربك
حتى تبلغ منبع الأنوار ، وتشرب رحيقاً من يد الجبّار
فيجبر نقص نورك بالإتمام ، ويُتمّ عليك نعمة الإسلام
فلا تعبّد بالتحقيق إلا إيّاه ، وتُغنّي طرباً لا إله إلا الله
وتشهد صادقاً بأن ليس غيره أحد ، وأنه لا مُحمَّد إلا مُحَمَّد

...-...-...

{ لقد جاءكم ، رسول ، من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنّتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم . فإن تولّوا ، فقل ، حسبي الله ، لا إله إلا هو ، عليه توكّلت ، وهو رب العرش العظيم .}

الآية الأولى تناظر الآية الأخرى.

١- { لقد جاءكم } / { فإن توّلوا }
لابد من مجئ رسول هذه صفته في كل عصر، مهما اختلفت درجة ظهور هذه الصفة. وإلا لبطل القرءان. فالأخلاق في هذه الآية خبر عن أناس سيتخلّقون بها ويظهرون بنورها. (ملحوظة: بعد ما ذكرت هذا المعنى في مجلس لي بالأمس، قرأت ما ورد في الطبري فوجدته يذكر رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيها للمؤمنين "كونوا كما قال الله: لقد جاءكم رسول من أنفسكم.." وذكر الآيتين. فأمرهم بأن يكونوا بحسب مضمون هاتين الآيتين. وهو الحق. إذ هو رسول لصنع رسل.)

لأنه جاءهم، وهو واحد وهم كثير، "جاءكم"، فهو من عالم الوحدة إلى عالم الكثرة. وعالم كثرة الممكنات حقيقته الإمكان وهو بين الوجوب والاستحالة، فالممكن له وجه للوجود ووجه للعدم، لذلك يأتيه رسول كلمة الله التي تنقله من عدمه إلى وجوده فأوّل وأصل كل رسول هو "كن" الإلهية. ثم يتنزّل أمر روح هذه الكلمة حتى يظهر في عالم الناس بصورة الرسل. لكن كما أن " كن" أمر والقيام بهذا الأمر راجع إلى الشيء ذاته إذ قال "نقول له كن فيكون" ولم يقل: فنكوّنه أو فيتكوّن. بل قال "كن فيكون" مثل "قُم فيقوم" فالقيام فعله وهو أول وأصل كل إسلام للأمر الإلهي في الأكوان. كذلك هنا الرسول يأتي، لكن للمُرسَل إليهم مقام الإمكان فقال "فإن تولّوا"، "إن" دالة على الإمكان، فقد يتولوا وقد لا يتولوا، وهو الإمكان. إذ لو كان إسلامهم واجب الوجود لما أمكن تولّيهم، ولو كان إسلامهم مستحيل الوجود لما أرسل إليهم ولما صاغ

موقفهم بـ "إن". بالتالي هم في برزخ الإمكان ما بين قبول نور القرءان وبين رفضه والبقاء في ظلمة الطغيان.

٢-{رسول} / {فَقُل}
الرسول له القول. "عليك البلاغ" و "ما على الرسول إلا البلاغ المبين" وهو قول. فالرسول يقول للكل، لمن لم يتولى ولمن تولّى. فله قول لأهل النور وقول لأهل الظلمات. لأن الرسول من مقام الوحدة والوحدة الوجودية المطلقة محيطة بالممكن بوجيهه للوجود والعدم كما قال "وهو بكل شيء عليم". فكما أن علم الله أحاط بكل ممكن، كذلك رسول الله يقول لكل مخلوق.

الذي يتولّى ليس له من الرسول إلا القول. وليس الفعل وقهره على عدم التولي أو معاقبته على التولي. وهذا من مظاهر حكم "لا إكراه في الدين". علماً أن هذه الآية من آخر سورة التوبة التي يزعم المنافقون من المسلمين أنها سورة ذبح على الدين وقهر وإكراه عليه، وقد كذّبهم أول السورة وآخرها وما بينهما والحمد لله. ففي أولها "إن أحد من المشركين استجارك فأجره"، وفي آخرها "فإن تولوا فقل".

القول يصدر من غيب نفسك إلى شهادتها. كذلك الرسول يأتي من عالم الغيب إلى عالم الشهادة. من هنا سمّى الله صاحب قرية يس بأنه منزل من السماء فقال "ما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء"، ويصح هذا المعنى في المرسلين وفيه هو أيضاً فقد بلغ الرسالة أيضاً ودعا إلى الله ورسله. فكرة الرسول تفترض وجود عوالم متعددة، غيب وشهادة، ما وراء الطبيعة والطبيعة. النظر في القول ذاته، في أي قول، في القدرة على القول وطبيعة القول، تكشف عن وجود هذه العوالم. لذلك قال أن من آيته "خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم". فاختلاف الألسنة في الأنفس الإنسانية شاهد على أمر الخلق كله وتعدد مستوياته.

الرسول نفسه رسالة. وقوله رسالة. لذلك جاء في القرءان وصف الرسول وعمله وأهميته ومقامه. فلو كان الرسول غير مهم بل المهم قوله فقط، لما كان ثمة فائدة لكل هذا. بل لما كان لا من الحكمة ولا من الرحمة أن يُصطفى واحد للرسالة بدلاً من إيصال الرسالة لكل فرد كما يوصل الله الرزق لكل فرد أو أعطى لكل فرد كبداً وكليةً ودماغاً. الرسول ليس ساعي بريد، ساعي البريد لا هو عزيز عليه ما عنتم ولا هو حريص عليك في كيفية تعاملك مع البريد المُرسَل ولا له علاقة رأفة ورحمة بك بل لا يبالي إلا بإيصال الطرد واستلام الأجرة من المُرسِل. ثم البينة

وصفها الله بأنها "رسول من الله يتلوا صحفاً"، فأساس البينة الرسول، وحتى الصحف الرسول الذي يتلوها، حينها تكون بينة. بالتالي، غير الرسول، أو تلاوة غير الرسول للصحف، لا يجعلها بينة حقاً مكتملة الشروط. فإن كان لابد من الاختيار ما بين الرسول وقول الرسول كتعبير عن الرسالة الإلهية، فالأولى اختيار الرسول ذاته. ويكفي أن قول الرسول يعطيه حتى لمن تولّى وكفر ونافق وأعرض وبغى كقوله هنا "فإن تولوا فقل حسبي الله"، وكقوله للمنافقين "لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم"، فالرسول يقول حتى للكافرين والمنافقين والمسرفين، فقوله إذن عام وشائع للكل. فما هي خاصية المؤمنين وحظّهم من الرسول؟ هي ذات الرسول. لذلك قال " بالمؤمنين رؤوف رحيم"، فنفس ذات الرسول وتعلقه بالمؤمنين، بالمؤمنين وليس بغيرهم من الناس، هذه خاصية المؤمنين وحظهم الأعلى من الرسول الذي هو رحمة الله للعالمين. من هنا سنجد الفرق بين المؤمن والمسلم والمنافق والكافر. المؤمن تعلق بنفس الرسول وبقوله. المسلم تعلق بقول الرسول فقط. المنافق أظهر التعلق بقول الرسول مع رفض نفس الرسول (لاحظ آية "إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم". وكذلك قول النبي "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته" وهو عن الذين يرفضون بعض قول الرسول دون بعض أي يأخذون القرءان وهو من قول الرسول ويدعون ما سوى ذلك من أقواله من النوع الآخر غير المنسوب إلى الله نسبة الوحي الخاص. هذا السلوك ينطبق على بعض فرق المسلمين، أي المسلم قد يقبل قول الرسول لكن يقيّد قبوله بقول دون قول. وقد يكون نفاقاً إن كان مكذباً أصلاً بالرسالة لكنه يُظهر قبول القرءان دون سواه وهو في الحق لا يؤمن لا بالقرءان ولا بغيره). الكافر رفض نفس الرسول وكل قوله. فأولى الناس بالرسول هم الذين يقبلون نفسه وأقواله كلها.

٣-{من أنفسكم} / {حسبي الله}

حقيقة الرسول من عالَم العزة، وهو عالم فوق عوالم العرش الروحي والسماء النفسي والأرض البدني. هو أول عالم صدر من الأسماء الحسنى وتجلت فيه سماتها على نفس واحدة هي نفس النبي "سبحان ربك رب العزة عما يصفون". في ذلك العالم نفوس الناس كلها نفس واحدة. من ذلك العالم نزلت. "خلقكم من نفس واحدة" وخطّها "وحدة". فهي واحدة ذات وحدة. وهي التي قال فيها "فادخلي في عبادي" وخطها "عبدي"، لأن عبده الأول الجامع هو النبي والعباد كلهم أشعة نفسه. ومن هنا ستعرف لماذا هو حريص عليهم ونحو ذلك.

في قراءة "من أنفَسَكم"، أي هو الأنفس من بين النفوس. وهو حق، لأن أنفس شيء هو ما لا يوجد منه إلا واحد، وكذلك النفس الواحدة التي هي نفس النبي في مقام العزة هي واحدة

ذات وحدة، وإن كانت صفاتها هي سمات الله تعالى فعزّته من العزيز ورحمته من الرحيم وعلمه من العليم وهكذا في بقية صفاته.

فالرسول من أنفسنا، أي هو من عالَم الأنفس وليس من عوالم الآفاق. "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم". فلم يجعل الله للناس هنا رسولاً من الحجر والشجر، ولم يكلمهم من حجاب النار أو الملائكة أو الجن. بل بعث رسولهم من أنفسهم، مشاكلاً لهم في في الجنس، وهذا من التأنيس لنفوسهم ومن تشريفها أيضاً وتذكيرها بأن نفوسها قابلة للفيض الإلهي والوحي الرباني.

فإن تولى الناس عن هذا الرسول فسيقول "حسبي الله". لماذا؟ المعنى: في مقام العزة نفسي حسبها الله، أي حتى إن تفرقتم أنتم عني ولم تتصلوا بي، فإن صفات كمالي إنما هي من الله تعالى الذي له الأسماء الحسنى، وأنا لا أفتقر إليكم لأكمّل ذاتي ويتمّ نوري. أي الرسول لا يسعى لإيمان الناس لأنه يريد جذب النفوس إليه حتى تكتمل نفسه، كالجسم يكتمل بأعضائه، كلا، نفس الرسول لها واحدة عالية لا تفترق فيها لأي شيء صدر منها. فنفوسنا ذات وحدة مشتركة، لكن كمالاتنا ليست من بعضنا البعض، بل من الله تعالى. ف"حسبي الله" إن رفضتم الاتصال بنفسي والإيمان بي، ولن ينقص مني شيء بكفركم لأن الله سيكمّلني ويتمم نوري ويكفيني ويجبر ما حصل لي أثناء سفري في هذه الدنيا حين أنتقل إلى الآخرة.

٤-{عزيز عليه ما عنتّم} / {لا إله إلا هو}
يهتم الرسول بحال الأنفس كلها، مؤمنها وكافرها، لأنه ينظر إلى النفس في ذاتها ويعلم قابليتها للنور والاستنارة بحكم الآدمية والخلافة. ويتأثر بما يصيبها لأنها كلها من نفسه وهو يستشعر الوحدة الفطرية الجامعة بينه وبينهم. العنت المشقة والأذى والمكروه، وكذلك هو الكفر والنفاق إذ هو من أذية النفس والشق عليها ولو لم يدرك الغافل. "فلعلك باخع نفسك ألا يكون مؤمنين".

لكن، في حال تولوا، فإن الرسول ينظر إلى "لا إله إلا هو". أي الوحدة الوجودية المطلقة التامة النور والكمال بالذات. فلا يوجد إلا "هو" سبحانه. وهو الإله بالتالي مطلق الكمال بذاته ولا ينقصه شيء ولا يمكن لشيء أن يحدث في العالم ويؤثر في ذاته تعالى. فللرسول عين ينظر بها إلى عالم الكثرة والفرق الذي يحتمل العنت وعدم العنت، لكن له عين قلبية ينظر بها إلى

عالم الوحدة والجمع الذي هو الوجوب المحض ولا يتأثر بشيء ولا يتغيّر من شيء يحدث ولسان حاله "إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله غني حميد" فلا تتغيّر لا ذاته ولا سماته وكماله من ما يحدث في أرض الكون كله وساحة الممكنات كلها. فالرسول يفتح عين ظاهره رحمة بالمظاهر، لكن إن تولوا ورفضوا رحمته فإنه سيفتح العين التي لا ترى إلا الظاهر سبحانه وتعالى "لا إله إلا هو".

٥-{حريص عليكم} / {عليه توكّلت}
حرصه على إيمانكم ليس لأنه يخاف على نفسه الهلاك أو النقص أو الضعف وعدم بلوغ غاياته فيستعين بإيمانكم على تحصيل غاياته. كلا. حرصه عليكم من رحمته بكم كرحمة الكل بأجزائه أو رحمة الواحد بأعضائه أو عطف الأم على ولدها الذي صدر منها. لكن في حال رفضتم ذلك فاعلموا أن الرسول متوكّل على الله، أي هو غير متوكّل عليكم. فقد تحرص على حدوث شيء لأنك متوكّل ومعتمد الاعتماد التام في تحصيل غايتك على حدوث هذا الشيء. ليس من هذا القبيل حرص الرسول على إيمان وهداية الناس. فهو متوكل على الله ويعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إذ هو مولاه. حرصة من الرحمة وليس من المصلحة. مصلحته محفوظة بتوكله على الذي هو حسبه وهو بالغ أمره.

٦-{بالمؤمنين رؤوف رحيم} / {وهو رب العرش العظيم}
للإنسان خلق وجعل، "خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور". فالخلق ظاهر والجعل باطن. الرسول يعلّم الشريعة رأفة بالمؤمنين لذلك قال في أمر الجلد "لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين". والرسول يعلّم الطريقة رحمة بالمؤمنين وهي الرحمة الخاصة، لذلك جاء بعد الأمر بالذكر والتسبيح "يخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما" عن الله تعالى وبلغنا ذلك رسوله والرسول نفسه مخرج الناس من الظلمات إلى النور بالكتاب الذي أنزله إليه ربه كما قال في "لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"، والطريقة مبنية على الذكر والتسبيح كما قال "ألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا. لنفتنهم فيه ومَن يُعرض عن ذكر ربّه يسلكه عذاباً صعداً". فالاستقامة على الطريقة هي بالإقبال على ذكر ربه، وبها تحصل السقاية بعد العطش، والحياة بعد الموت، والإنارة بعد الظلمة. إذن، الرسول بالمؤمنين رؤوف بالشريعة ورحيم بالطريقة، وكلاهما من إمداد {رب العرش العظيم} كما قال "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني

والقرءان العظيم"، والعرش عالم الروح والقرءان روح "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به".

حتى إن تولّى الكافرين والمنافقين، وضلّ عن حقيقة الرسول عموم المسلمين، فإن لله عباداً هم خاصة المؤمنين، وهم الذين ءامنوا بالروح والنور والشهود الحق لحقيقة الرسول وروحه وباطنه، فهؤلاء يكفي الله بهم الرسول كما قال "حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين".

...

قالت: كيف تتعامل مع الأديان الأخرى؟

قلت: كما أتعامل مع المذاهب الإسلامية الأخرى. أنظر في كل فكرة وحكم على حدة، وأقيسه بحسب الفطرة وبحسب البرهان العقلي والشهود والقرءان العربي وأحاكم موازين كل مذهب بحسب ما يعتقده أيضاً من مصادر علمية ومقدسة وما يقبله على نفسه من أصول عقلية ومنهجية نصية. لا أحكم على أحد حكماً مجملاً، بل أعمل بالتفصيل. فقد أنظر إلى فكرة فأوافق عليها وأخرى لا أوافق عليها، بل حتى في تفاسير العلماء للقرءان أعمل بنفس المبدأ، فلا يوجد لدي سبب لعدم إعمال نفس المبدأ مع أي دين وملة ومذهب وفلسفة أخرى.

...

قالت: ما رأيك في شطب رابعة العدوية لآيات النار والعذاب من مصحفها؟

قلت: لو كانت فعلاً تقبل كل شيء ولم تعد ترى إلا السلام والمحبة، فلماذا شطبت هذه الآيات ولم تقبلها وترى فيها المحبة والسلام أيضاً. النار قهر وهي ترفض القهر. حسناً، لكن شطب الكلمات هو بحد ذاته حرق لها، إشعال للنار فيها بإهلاكها، فهو قهر منها لهذه الآيات. فقد ارتكبت ما فرّت منه، على فرض صحة الرواية طبعاً.

الحق أن آيات النار باطنها كله نور وحب ورحمة وسلام. فهي أمثال وأسماء يراها كل واحد بحسب مستواه العرفاني. فانظري مثلاً إلى ابن عربي كيف فسّر أسماء الكافرين والضالين وغير ذلك من أسماء حزب الشيطان على أنها أسماء لأولياء الله لكن بالاعتبار الباطني الخاص. كذلك الحال في كل آيات النار.

مثلاً، "كلما دخلت أمّة لعنت أختها" هذه خلاف أصحاب الجنة الذين هم "إخواناً على سرر متقابلين". الحقيقة الإلهية تتجلّى لكل فرد بتجل خاص لا يتكرر في غيره، لكنها تتجلى بتجل عام للكل من حيث أن الكل مجلاها. كلاهما حق وكلاهما نور. الحقيقة الأولى، أي التجلي الفردي الخاص، يقتضي ضرب مثله بصورة "كلما دخلت أمة لعنت أختها"، أي كل نفس ترى الأخرى بعيدة عن الرحمة أي بعيدة عن الحقيقة الإلهية، وذلك من حيث أن كل نفس

ترى الحقيقة الإلهية في ذاتها بنحو لا يوجد خارجها وهو حق. الحقيقة الأخرى، أي التجلي العام المشترك لنور الوجود، يقتضي أن يرى كل واحد الحقيقة الإلهية في الآخرين أيضاً، وهذا الاعتبار اقتضى ضرب مثله بصورة "إخواناً على سرر متقابلين" فالكل إخوان أي مظاهر حقيقة واحدة، ولكل واحد فرديته لكنها مقابلة لفردية الآخر من حيث الاجتماع في المظهرية لتلك الحقيقة الواحدة المطلقة. إذن، أصحاب النار مَثَل على التجلي الفردي، وأصحاب الجنة مثل على التجلي الكلّي.

وعلى هذا النمط كل آيات النار لها تأويل حقيقي يراها أهل الله ولا ينكرونه، يحبّونه ولا يبغضونه، يرونه من سلام الحقيقة لا من حرب الباطل. فلو تمّ عرفانها لما شطبت حرفاً من قرآنها. "لكل درجات مما عملوا".

...

قال إخوة يوسف ليعقوب بعدما رفض يوسف إعطاءهم الطعام قبل ما يأتونه بأخيهم:

(يا أبانا، مُنع منّا الكيل، فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون)

هذا حال الأمة مع الولي.

يوسف هنا رمز على روح القرءان لذلك هو "العزيز"، والكيل رمز على الرزق العلمي الذي يفيضه القرءان على قارئه. لاحظ "إنا له لحافظون" مثل "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

فالأمة مثل إخوة يوسف. يحاربون أولياء زمانهم ويريدون أن يخلو لهم وجه أبيهم يعني دين ربهم. الأب رمز الرب. وجهه هو الشيء الذي يُتوجَّه إليه به. فالأمة تريد أخذ العلم الإلهي بدون وسيلة رسل عصرهم. لكن سيُمنَع منها الكيل. ستفتقد لنور الوحي الحي. بعضهم سيضل وبعضهم سيهجر القرءان وبعضهم سيحرفه، فقط لأنه يريد أن يكتال بدون من قال الله فيهم "رجال لا تلهيهم". لكن، في فترة ما، ستتوب الأمة وهذه الآية تضرب مثلاً على هذه التوبة.

(يا أبانا) هي صلاة استسقاء لإنزال العلم عبر وسيلته التي جعلها الله كذلك. فهنا سترجع الأمة إلى ربها وسترجع إلى ربانيها وعلمائها.

(مُنع منا الكيل) ذهبنا إلى كتاب الله فلم نفهم، لم تشعر بحقيقته، لم نسمع صوت الله فيه ومنه، لم نرى آياته حية في الآفاق وفي أنفسنا.

(فأرسل معنا أخانا) فهو رسول. حتى يحصل الكيل لابد من أخ يوسف. أخ القرءان. أي الإنسان الذي روحه وروح القرءان خرجتا من مصباح النور الإلهي الواحد. لذلك يفهم القرءان لأن في ذاته هو روح القرءان. ولذلك يكلمه الله بالقرءان لأن الله يتكلم أصلاً داخل نار موسى القرآنية فروح الأخ تسمعه وتستقبله أيضاً. قال ابن عربي "القرءان والإنسان الكامل أخوان". وقال عن نفسه مُعبّراً عن هذه الحقيقة "أنا القرءان". في كل زمان مثل هذا الإنسان الذي هو أخو القرءان.

(نكتل) حتى ينفتح لنا العلم بكتاب الله وسماع كلام الله الحي والاتصال الحقيقي به. بوسيلة هذا الأخ اليوسفي الروح.

(وإنا له لحافظون) يعني سنعامل هذا الأخ كما نعامل القرءان، "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون". سنعتبره قرءاناً يمشي، روح القرءان في صورة إنسانية، وتجسيد لكلام الله وحضوره في عالمنا.

حينها يحصل الكيل ويُغاث الناس.

...

نقل لي صاحب عن شخص يقول ما حاصله "الغش في امتحانات الدنيا ممنوع، لكن في أمر الدين الغش من المتفوقين يعني النقل عنهم وتقليدهم مسموح لأن المهم أن تنجح". فقلت:

تقليد صورة عمل الناجح ليس نجاحاً إلا في الدنيا. لكن في الآخرة لابد من تحصيل حقيقة الناجح لا صورته فقط.

قال المنافقون "نشهد أنك لرسول الله". فهذا تقليد لصورة المفلحين بدون جوهرهم، والنتيجة خسران.

نعم، في الامتحانات الشكلية يمكن نقل صورة جواب المتفوق لأن المحاسبة على صورة المكتوب على الورق. لكن التفوق ذاته حالة عقلية، هذا العقل المتفوق هو الذي أنتج الجواب الصحيح. امتحان الآخرة "يوم تبلى السرائر" وليس الظواهر. "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم". وقال "يحشر المرء مع من يحب" والحب موافقة قلبية لا قالبية فقط.

نعم، يوجد تأسي بالرسل والصالحين. لكنه تأسي باطني وظاهري. لاحظ قوله تعالى "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" لمن؟ "لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا". فجمع بين الإيمان وهو باطني، والرجاء وهو باطني، وإرادة الله والآخرة وهي باطنية، ثم ذكر الله وهو عمل نصفه باطني ونصفه ظاهري والعيرة فيه لجانبه الباطني لأن القلب الغافل غير مقبول ذكره وصلاة الساهي مردودة عليه. فالأسوة إذن كلها ذات أصول باطنية وأحد فروعها ظاهري.

المصيبة في المثل المضروب بالغش من المتفوق كشيء مسموح به في طريق الآخرة والدين، أنه يؤدي إلى الشكلانية والتظاهر والاهتمام بافعل ولا تفعل واتخاذ صورة التدين بحجة أنه تشبّه بالمتفوقين في الدين. يعني، باختصار، يؤدي إلى سرطان الوهابية.

نعم، نية ضارب المثل أحسبها طيبة لكن تأمل آية "انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا". ضرب الأمثال عمل خطير. وليس كل مثل يجوز ضربه فقط لمجرد توصيل فكرة لعل أصلها سليم. كالذي يضرب مثل للرسول بأنه ساعي بريد، فهذا يضل بنسيان أن ذات الرسول بحد ذاتها جزء من الرسالة بل الرسالة بدون الرسول تُصبح عرضة للتحريف بل أول من ستُسَعر به النار قارىء قرءان وشر الخلق والخليقة قراء قرءان. ساعي البريد ذاته غير مهمة، الرسول الإلهي ذاته مهمة. وهكذا. ضرب الأمثال عمل إلهي "يضرب الله الأمثال للناس"، فلا ينبغي التسرع فيه والاهتمام بالظرف وتقريب الفكرة للعامة بدون ميزان صحيح.

...

{وقارون وفرعون وهامان، ولقد جآءهم موسى بالبينات، فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين}

موسى اسم كليم الله. فالكليم له ثلاثة أضداد هنا، وله لكل ضد بينة خاصة تبيّن ظلمته. فموسى نور واحد، يواجه ثلاث ظلمات.

ظلمة قارون هي "أوتيته على علم عندي". يعني أن تنسب كلام الله لعنديتك بدلاً من أن تقول "العلم عند الله". أي تعتبر نفسك من حيث ذاتك فيك كلام الله بدون إفاضة الله الكلام عليك وإمدادك به وظهوره هو بكلامه فيك. والبيّنة هي أن كلام الله لو كان من ذاتك وفي ذاتك لكان مطلقاً ولكان معك دائماً بينما الحق أن ظهوره فيك مقيد بك وحادث بعد أن لم يكن فيك إذ خرجت من بطن أمك لا تعلم شيئاً. ظلمة أخرى "فخرج على قومه في زينته"، وهو أن تتزيّن

بكلام الله للتفاخر على الناس بدلاً من تعليم الناس رحمةً بهم وحرصاً عليهم ولوجه الله تعالى بلا مقابل أجر ولا مال ولا شكر منهم. والبينة هي أن الله لم يكن ليعطيك كلامه لتحاربه، إذ كلامه غايته إرجاع الناس له وليس أن تقف حائلاً بين الناس وربهم.

ظلمة فرعون هي "أنا ربكم الأعلى". يعني أن ترى نفسك رباً للناس بسبب كونك تعلمهم كلام الله، بينما الحق أننا إخوة في طريق واحد ونستمد من مصباح واحد، لكن البعض أضعف من بعض أو متأخر عن بعض فنعين بعضنا بعضاً في الطريق. ظلمة أخرى هي " آمنتم له قبل أن آذن لكم" أي أن تجعل نفسك حاكماً على ما يفهمه الناس من كلام الله بالقهر والعنف بحيث تعاقب أجسام الذين يخالفون فهمك ويؤمنون بشيء بغير إذنك. والبينة "لا إكراه في الدين".

ظلمة هامان هي "ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب". يعني التجسيم. هامان بنى لفرعون صرحاً أصل باعثه فكرة التجسيم وحصر الله في مكان. فالظلمة هي أن تحصر كلام الله بشخص محدد، ولا ترى لكلامه مظهراً ولا ظهوراً إلا بواسطة هذا الشخص، وهو من قبيل "كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح" الذي هو كلمة الله. فحصروا ذات الله في كلمة من كلماته وتجل من تجلياته. ظلمة أخرى، إعانة الظالمين على ظلمهم وضلالهم، وهو من قبيل استعمال كلام الله لخدمة الطغاة وأمراء الجور واللصوص المتغلبة وأشكالهم، فيبنون لهم العقائد والفتاوى الشرعية والأخلاق النفسية بحسب ما يشتهي الظلمة وما يرّسخ في الناس نزواتهم ويجعلهم يرضون بطغيانهم. والبينة أن الله أرسل موسى لتحرير بني إسرائيل من فرعون، فما كان لموسى أن يكون وسيلة من وسائل وخادم من خدم فرعون في طغيانه. وكذلك كل كليم لله إلى يوم الدين وحامل كلام الله إلى يوم يبعثون.

{فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين} فلابد لكل موسى من ثلاثة لا يبالون ببيناته ويستمرون على ما كانوا عليه ويظنون أنهم سيحصلون على المنفعة ويصلوا إلى الحقيقة قبل موسى وبطريق أفضل مما عليه موسى. فلا غرابة من هذا الأمر. وعقوبتهم؟

{فكُلاً أخذنا بذنبه، فمنهم مَن أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}
أربعة عقوبات للثلاثة ومن تبعهم أو مع السامري غير المنصوص عليه هنا لكن المقصود عموماً الذين استكبروا على موسى ورفضوا بيناته.

الحاصب بثر يخرج في الجسم، وبهذا الاعتبار يشير إلى أن ما سوى كلام الله لابد أن يكون كلاماً فيه أمراض وأخطاء وتناقضات قاتلة لقيمته ودلالته مضللة للقابل لها عن الحقيقة

وتؤثر في روحه وعقله تأثيراً سيئاً يجعله يبتعد عن الحق ويخالف الفطرة. وكذلك الحاصب هو الرمي بمواد طبيعية تؤذي، وكذلك مخالف كلام الله لابد أن تكون الطبيعة والآفاق والكون في أمثاله وحقيقته ضدّه ومضاد لمقولاته.

الصيحة صوت شديد مزعج، وبهذا الاعتبار ستجد أهل كلام الله وإن صمتوا فهم يتكلمون لأن الواقع والوجود يتحدّث نيابة عنهم إذ إنما يتحدثون نيابة عن الوجود والحق، فالكون كله ناطق بحقانيتهم. لكن المخالف لكلام الله لابد أن يصيح ويصرخ ويعلو صوته المنكر لأنه يريد إثبات حقيقة شيء بلفظه لا يساعده عليه الوجود والحق في ذاته وأحكام الدار الآخرة الأبدية، فيحتاج إلى إظهار شدة قناعته بألفاظه حتى يقبله الناس أو حتى أن يقنع هو نفسه بهذه الألفاظ عبر الصياح بها. فصيحته دليل هلاكه وبطلان ألفاظه.

الخسف به الأرض يشير إلى الأمثال، فالأرض للاستقرار عليها لكن الخسف ضد الاستقرار عليها، وقد قال الله عن الكلمة الخبيثة "اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار"، كذلك مخالف كلام الله لا يكون إلا هذا حاله، أي لا ثبوت لأمثاله في أرض الظواهر، ولا يتحقق مدلول توقعاته لمخالفتها للسنن الإلهية والأحكام الربانية التكوينية.

الإغراق إحاطة الماء بمجاري الهواء فيحصل اختناق، كذلك الروح تختنق بالكلام المخالف لكلام الله لأنه مجرد ألفاظ متفوّه بها غير منفتحة على الحقيقة الوجودية بل هي من العدم وإلى العدم ومدارها اللفظ فقط لا الواقع.

هذه ألوان من التأويل وقد يوجد غيرها. وأمر الله واسع.

{وما كان الله ليظلمهم} فالله لم يخلق فيهم هذا الكلام الباطل. {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} إذ قبلوا هذه الطريقة غير الموسوية وأخذوا بغير الكلمات الإلهية واستعاذوا بغير الكلمات التامات النورانية الوجودية. من هنا قال بعدها..

{مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء} وهم كقارون وفرعون وهامان الذين سبق ذكرهم. الذين اتخذوا غير موسى وكليم الله في عصرهم ولياً. {كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت} فهي شبكة ألفاظ يرتبط بعضها ببعض بروابط التلفظ السخيف حصراً، وتظن أن معانيها مترابطة بروابط الذهن المنفصل عن الوجود وغير المشاهد للواقع في الملك والملكوت والعزة والجبروت وعند الحي الذي لا يموت، لذلك هو بيت واهن أي لفظ وهمي تظن أنه قائم لكن أدنى صدمة تفسده وتكشف خرافته، فإن كان اللفظ يعبّر عن الوجود سيتبين أن الوجود خلافه عاجلاً أم آجلاً، وإن كان اللفظ يعبّر عن أمر بفعل شيء بحجّة تحصيل منفعة معينة أي هو مبني على الاعتقاد برابطة سببية بين عمل وأثر مخصوص سيتبين بعد حين أن الواقع لا

يعكس هذه العلاقة السببية المتوهمة فيحصل على التعب من العمل بدون كسب الأثر المطلوب " كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وهو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال".

تأويل آخر، أن بيت العنكبوت تأكل فيه المرأة زوجها وأولادها، أي هو بيت يأكل بعضه بعضاً ويحارب بعضه بعضاً. كذلك حال غير أولياء الله، فإنهم وإن كنت "تحسبهم جميعاً" لكن "قلوبهم شتى". إذ حربهم وإضلالهم في الألفاظ وغيرها إنما غرضه كسب المادة، والمادة الدنيوية ضيقة ويقع عليها تزاحم، فيريد هذا ما يريده ذاك، فيضطر بعض الآخذين إلى قتل الآخرين ومنافستهم على ما بأيديهم دائماً. أما أولياء الله ففي كلامهم ينطلقون من السعة العلمية التي تسع الكل إذ يشاهدون حقيقة الكل وأصل الكل، فالكلام عندهم واسع لسعة رؤيتهم. ثم اجتماعهم مبني على وحدة القلب، وتسعهم معايشهم لأنهم يطلبون القليل الكافي النظيف ولا يتحاربون على الدنيا ومن يعلو على مَن فيها. فلا يأكل بعضهم بعضاً بل يعلّم بعضهم بعضاً و"يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة".

لبيان أن الوهن المذكور هو التعلّق بالأمور العدمية وغير الواقعية، أي هو أصل تلفظهم واختلافهم على كليم الله الناطق عن الحق بالحق وناصر الحق بالحق أي بالوجود والواقع وإدراك الأمر على ما هو عليه، قال بعدها...

{إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء، وهو العزيز الحكيم}

هذا تعبير عن العدم "ما يدعون من دونه من شيء". فدعائهم متوجه إلى معدوم، وعقلهم ينظر في العدم، وألفاظهم تعبّر عن معدوم. فالله يعلم ذلك فتركهم في ظلمات لا يبصرون لأنه أعطاهم عقولاً ليبصروا بها لكنهم اختاروا ما سوى ذلك إرادة للدنيا. وهو العزيز الذي لا يؤثر فيه ضلال عبيده، والحكيم الذي يعرف أين يضع كلامه ويجعل رسالته حتى لا تضيع ولا تتغيّر إذ لا يضعها إلا عند أمثال موسى لا أمثال قارون وفرعون وهامان والسامري.

علم الله محيط بالموجودات والمعدومات. لكن المعدومات هنا هي الألفاظ الباطلة عن الوجود. فاللفظ هو الشيء الوحيد القابل للإشارة للعدم، هو الشيء الوحيد المتعلق بمعدوم، إذ ما سوى اللفظ إنما هو شيء موجود بحت إذ هو هو، لكن اللفظ وإن كان موجوداً وإن كان له تأويل وجودي حق لكن له نسبة من حيث كليته تشير إلى العدم وهذه النسبة العدمية يعلم الله عدميتها ويعلم قبل ذلك ما هو التأويل الحق لذلك اللفظ العدمي. فهو العزيز الذي لا يخرج شيء عن هيمنته فبما أنه نور فلا يوجد إلا نور وشيء له صلة بالنور بدرجة ما، وهو حكيم لم

يخلق إلا ما يكشف عن حكمة مهما كان مغرقاً في الضلالة من وجه ما. حتى العدم يكشف عن الوجود، فسبحان الشهيد منير أهل الشهود.

لكن حتى تعلم هذه النسبة الحقيقية لكل لفظ مهما كان واهناً وهمياً، فلابد أن تنظر له بعين الأمثال، ولبيان هذا المعنى جاء الآية التالية فقال...

{وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون}

فالعالم بوحدة الله المطلقة وأن العوالم كلها مظاهر أسمائه الحسنى ومخلوقة بالحق، العالِم بذلك كله سيرى الموجودات كوحدة مترابطة بالتالي سيعقل أي يربط ربطاً تعقلياً علمياً ما بين الظواهر والبواطن، والأمثال وتأويلاتها الصحيحة، مهما كان ظاهر المثل وهو هنا اللفظ الباطل مغرقاً في العدمية لكنه في النهاية مثل له عقل يختص بعقله العالمون الذين العلم حقيقة روحهم وأكبر همهم ومدار عملهم وشغلهم الشاغل الذي به يتنعمون ويتفكهون وله يطلبون.

لبيان هذا المعنى قال بعدها..

{خلق الله السموات والأرض بالحق، إن في ذلك لآية للمؤمنين}

فبما أن الخالق هو الله وقد خلق بالحق، فلا يمكن لمخلوق أن يخرج عن الدلالة على الله والحق، حتى لو كان مغرقاً في التلفظ بالمعدومات ومشيراً إلى الباطلات. وبناء على ذلك، كل ما في الخلق آية لله وللحق. لكن للمؤمنين حصراً. وهم الذين علموا الحقائق السابقة ورأوها في الواقع، أي الذين يرون علمهم متحققاً في الواقع، ولا يعتبرون العلم مجرد مفاهيم في الذهن، ولا يأخذون الألفاظ على أنها كائنات مستقلة تؤخذ لقيمتها النفسانية حصراً، بل ينظرون خارجهم ويشاهدون الوجود كله ويرون علمهم هناك أيضاً "فلما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله"، فالوعد كان كلاماً جاءهم، أي في داخل عقولهم، لكنهم رأوا ذلك أيضاً خارجهم وأشاروا إليه في الواقع العام فصدّقوا ما في داخل عقولهم بما تشهده عقولهم في الخارج أيضاً. مَن كان هذا شأنه لن يضلّ بالألفاظ الواهنة لأن اللفظ الواهن يلعب دوره داخل الذهن فقط، وأما خارجه فلا وجود له حقيقي، لكن المؤمن يبني كل كلامه على وجود الله ووجود الحق ووجود الخلق، ويطلب رؤية كل كلامه في الثلاثة بحسب التحليل.

ما مضى فرقان وتمييز ما بين أهل كلام الله وأهل الألفاظ العدمية. فإن فهمت ما مضى وأسلمت له ستقول: كيف أكون من أهل كلام الله في أمر العلم وفي أمر الحكم معاً؟ للجواب عن ذلك قال بعدها...

{اتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك، وأقم الصلوة إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.}
ففي كتاب الله إشارة إلى وجود شيء أو أمر بإيجاد شيء. وجود شيء مثل "الساعة قائمة"، إيجاد شيء مثل "فاعدلوا". والإيجاد مبني على الوجود، أي مبني على كون إيجاد شيء معين سيؤدي إلى أمر آخر نافع أو يدفع عنك شيء ضار أيا كان مستوى النفع والضرر. لكن الكلام كله يدور في هذا الفلك.

من هنا قال أوّلاً {اتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك} المقصود العلم والإشارة إلى وجود شيء، كما قال في آية أخرى "اتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا" فبنى أمر التلاوة على عدم تبديل كلمته والمقصود واقعية هذه الكلمات وثبوت وجودها، أي الكلام يشير إلى الوجود الحق. فالمقصود هنا ب"اتل ما أوحي" أي اجعل يعقل متبعاً وقمراً يعكس شمس الحقائق الموجودة في الكتاب، وهذا الشقّ الأول من الكلام. الشق الآخر أي الأمر بإيجاد شيء لتحقيق منفعة معينة هو {وأقم الصلوة} لماذا؟ {إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر}، فالصلوة إشارة إلى كل أوامر الشريعة والطريقة في الكتاب الرباني، فإذا أقمتها ستنهاك عن الفحشاء والمنكر إذ "الله لا يأمر بالفحشاء" ولا بالمنكر. فالتلاوة للعلم، والإقامة للحكم.

{ولذكر الله أكبر} أي ذكر الله الذي تتلوه وهو الشق العلمي المشير إلى الحق (والحق اسم يجمع الله والوجود والواقع وكل حقيقة واقعية بشكل عام) أكبر من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر أي الشق العملي الحكمي. لماذا؟ لأن الحكم تابع للعلم ومبني عليه. ولأن صلاح القلب بالعلم يؤدي إلى إصلاح الجسد بالحكم ولو بوجود الإرادة السليمة وإن كانت عاجزة أحياناً عن تحقيق مقتضى الحكم ومن هنا الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة المستمرة إلى الله تعالى. العلم ذكر الله. والجهل كفر بالله.

{والله يعلم ما تصنعون} فجمع هنا بين "يعلم" و"تصنعون"، أي بين العلم والحكم، بين التلاوة والإقامة. فمرجع تلاوتكم إلى علم الله، ومرجع إقامتكم إلى صنع الله. فالله هو العليم فيكم والصانع بكم. فلا تضيعوا بالفرق عن الجمع، وبالسعي عن الحي.

حسناً، أخذنا كتاب الله علماً وحكماً، لكن يوجد غيرنا ممن يأخذ كتاب الله أيضاً لكنه يقول بعلم مخالف لما علمناه بالحق، ويقول بأحكام تخالف ما فهمناه بالصدق، فكيف نتعامل معهم؟ لبيان ذلك قال بعدها...

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون}
فالجدل هو طريق تصحيح العقل. لكن سيختلف حال أهل الكتاب فيختلف شرط الجدل معهم. فإن كان أهل الكتاب يؤمنون بكتاب الله أنه الكتاب الذي معنا ومعهم، ويؤمنون بأن مصدر كتاب الله هو الله تعالى الواحد، ويؤمنون بوجود الإسلام له بالعقل بقبول العلم الذي أنزله وبالإرادة بقبول الحكم الذي نزّله، فحينها نجادل هؤلاء بالتالي هي أحسن. كيف؟ نلين القول، نحدد محل الخلاف بوضوح، نجادل ببرهان من كتاب الله والنظر في الآفاق والأنفس، ونذكّرهم بالوحدة الدينية بيننا وبينهم من حيث وحدة الكتاب والإله والأمّة. لكن الذين يعتبرون أنفسهم من أهل الكتاب أن معهم فقط كتاب الله وليس معنا، أو أن إلههم غير إلهنا، أو لا يقبلون بالتسليم له ويعتبرون أن دينهم غير دين الإسلام، فهؤلاء نجادلهم بالتي أخشن. فلا نقول لهم أن بيننا وبينهم وحدة في الكتاب والإله والأمّة والدين لأن هذا القول سيكون كذباً ونحن لا نكذب. هذا تأويل.

تأويل آخر، نجادل بالتي هي أحسن الذين نرى أنهم فعلاً يبنون قولهم في العلم والحكم على كتاب الله، أي هم "أهل الكتاب" فهم من أهله وليسوا غرباء أجانب عنه. لكن حين نرى أنهم ليسوا من "أهل" الكتاب، بل يزعمون الانتساب إلى الكتاب باللفظ فقط لكنهم في الحقيقة يبنون أقوالهم على مصدر غير كتاب الله ولا يبالون حقاً بالأخذ عن كتاب الله، حينها لا نجادلهم بالتي هي أحسن لأنهم من "الذين ظلموا".

تأويل ثالث، {ءامنّا} أي رأينا عن علم. {بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم} أي بأن فهمكم في كتاب الله وفهمنا له كلاهما حق، وإن كان الظاهر أنهما مختلفين، بل نحن أخذنا لوناً واعتباراً وتأويلاً وأنتم أخذتم بلون واعتبار وتأويل آخر، وكتاب الله واسع وهو حمّال أوجه كلها أوجه حق. {وإلهنا وإلهكم واحد} أي رأينا بحق أن الذي أمدّنا بما عندنا من فهم وأمدّكم بما عندكم من فهم هو إله واحد لكنه تجلى فينا بتجلٍ يختلف عن تجليه فيكم، وتعدد تجلياته لا يبطل وحدة ذاته ونوره. {ونحن له} أي نحن وأنتم له {مسلمون} لنا دين واحد بحسب الفطرة إذ فطرتنا كلنا هي الدين القيّم الذي هو الإسلام، ونحن كلنا نسعى للتسليم بحقيقة العلم باتحاد عقولنا بها وتحقيق الإرادة الإلهية بتفعيلها بإظهارها.

لكن لما كان أصل الجدل في كتاب الله راجع إلى اختلاف الناظرين فيه، ومن نظروا بعين إلهية لأن الله يريهم حقيقة الكتاب هم رسله وورثة كتابه بالحق، ومَن سواهم إنما يخرص ويظن ويحسب ويشك إذ لم يؤتيه الله روح الكتاب والإذن الحي مع المدد لقراءته، لأن الكتاب موجود بصورة طبيعية يستطيع كل شخص أن يأخذه ويقرأ ألفاظه ويفهمها كما يشاء وبحسب مزاجه

وحالته وحدوده. لأجل الاختلاف بين الفاهم بالله والفاهم بهواه، وحصول الجدل بينهما لاختلاف العقل، قال تعالى بعدها مبيناً ذلك...

{وكذلك أنزلنا إليك الكتاب} في كل عصر مَن ينزل الله عليه كتابه بالروح حتى إن كن كتابه موجود بأيدي الناس بحسب الجسم، أي جسم الكتاب عند الناس لكن روح الكتاب من عند الله وإنزال هذه الروح ونفخها وإيتاء هذا الفهم الحي من لدن الحكيم الخبير الحي القيوم يساوي إنزال الكتاب بحسب صورته أول مرة إذ ينزل الكتاب بحسب الصورة مع الروح أول مرة لكنه يبقى صورة بدون روحه بأيدي الناس فيأخذه أتقى الناس وأشقى الناس على السواء، فعندما يشاء الله يؤتي هذه الروح عبداً أو عباداً من عباده المصطفين الأخيار ويشرق عليهم بالأنوار ويكشف لهم الأسرار. فالإنزال هنا يشمل الصورة والروح، وهو الإنزال على الرسول أول مرة. لكن يتكرر ذلك بالروح مع وجود الصورة. لذلك قال {فالذين ءاتينهم الكتاب يؤمنون به} هذا الإيتاء هو إيتاء الفهم والروح خاصة، لأن الرسول جاء بالكتاب وأنزل الله عليه روحه وجسمه معاً، لكن مَن سوى الرسول الأول سيكون إما من الذين {ءاتيناهم الكتاب} إيتاء الفهم والروح والبصر بالنور الحقيقي الذي فيه وفيك يا رسول الله، فهؤلاء {يؤمنون به} أي يرونه في الآفاق وفي أنفسهم ويصدّقون به ويصدقونك. {ومن هؤلاء مَن يؤمن به} أي من هؤلاء الذين في عصرك وحولك، فالمقطع السابق يعبّر عن المبدأ وهذا المقطع يعبّر عن ظهور المبدأ. أي قوله {فالذين ءاتيناهم الكتاب يؤمنون به} باعتبار يشير إلى الأصل الحقيقي بمعنى أن الإيمان به مربوط بإيتاء الله إياه ولا ينفصلان فلا يؤمن أحد باستقلال عن إذن الله وإيتاء فهم وروح الكتاب مباشرة من لدنه. وهنا أظهر الحال في زمن الرسول، ويتكرر ذلك بحسب اختلاف الأزمنة بمظاهر مختلفة للسعة الإلهية لكن الجوهر واحد والسنة ثابتة، {ومن هؤلاء مَن يؤمن به}. اعتبار آخر، أن مقطع {فالذين ءاتيانهم الكتاب يؤمنون به} يشير إلى قبل إنزال الكتاب إليك بصورته الخاصة التي آتيناك إياها بلسانك، أي هو الكتاب بحسب ظهوره قبلك، ثم المقطع الثاني يشير إلى من يؤمنون بعدك {ومن هؤلاء مَن يؤمن به} فيشير ب"هؤلاء" إلى موجودين معاصرين للرسول. كل ذلك حق. ثم ذكر الصنف الآخر فقال {وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون} فلن يؤمن كل أحد، بل لابد من وجود من يكفر. سيجحد بآياته أي سيراها في الآفاق وفي نفسه وسيعرّفه الله إياها لكنه سيجحد بها ظلماً وعلواً كفرعون.

من الكفر التشكيك في كون الرسول تعلّم من الله فينسبونه إلى التعلم من البشر. أي سيدّعي البعض أن كفره ليس بسبب جحده بل بسبب علمه بالواقع وهو أن الرسول تعلّم هذا الكتاب، وكل ولي بعد ذلك تعلّم ما يقوله ليس بوحي حي من الحي القيوم بل إنما هو شيء

أخذه ممن سبقه من العلماء والناظرين في الكتب الإلهية، فسينكرون الصلة الحية القائمة بين الله ورسله الخواص، فقال بعدها مبيناً بطلان ذلك...

{وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون}
فالرسول بالحق في كل عصر وزمان وصاحب الكتاب بالحق والصدق، ستجد فيه أمران. الأول ذكرته هذه الآية والثاني ذكرته الآية التي بعدها.

الأمر الأول هو أنه لم يكن يتلوا من قبله من كتاب بل فتح الله له في أمر الدين فتحاً خاصاً غير مأخوذ في جوهره وأصله، وبالنسبة للرسول الأول لا جوهراً ولا مظهراً، عن كتاب سابق. ولا يخطّه بيمينه أي لم ينقل عن أحد فستجد في كلامه تفرداً وفرادة وليس نقلاً على سبيل ما نقوله اليوم قص ولصق فضلاً عن رائحة الروح الجديدة المشرقة به والتي تبيّن أنه ينطق الآن عن الحق الحي. فالرسول قبل نزول كتاب الله عليه، والولي العَقول قبل فتح ونزول روح وفهم كتاب الله المنزل إليه، لا يكون من أهل الدين والتدين بالمعنى الموجود في عصره، فلا يتبع أحداً ولا يكون من أهل ملة خاصة، ولا هو عضو في مؤسسة دينية ومذهبية وطائفية، ولا شأن له بالحياة الدينية بشكل العام الدائرة في عصره فلا ينسبه أحد إلى أحد ولا ينتمي هو إلى أحد.

الأمر الثاني هو {بل هو ءايات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون}
فالآيات عنده في الصدر لا من السطر. وهذا فرق جوهري. إذ كما بينا من قبل أن أضداد موسى هم قوم الأولوية بل كل شيء عندهم مبني على السطور والدفاتر والكتب والصحائف أي الألفاظ. لكن الرسول والولي الوارث المُظهر لنور الرسول الدين عنده حقيقة وجودية وذوق فعلي وشهود واقعي، ثم من صدره يعكسه في كلامه ويعبّر عنه بمختلف ألوانه.

فهنا نجد فرقاً بين دين السطور ودين الصدور. السطور يتعلّق بها المبطلون، والصدور ينكرها الظالمون. لكن أهل النور هم قوم علمهم في صدورهم وتجليات علمهم في سطورهم.

بالنسبة للولي الوارث الذي تنطبق عليه آيات الرسول كلها بوجه أو بآخر بعد إتيان الرسول الأول بالكتاب، كهذا القرءان المحمدي العربي الذي بأيدينا. سيقول البعض: بما أنه يدعي الرسالة وأنه رسول كتاب الله الذي عندنا وأنه مظهر الرسول في عصرنا، حسناً، فليرينا مثل ما جاء به الرسول الأول. وعبّر عن ذلك تعالى فقال بعدها {وقالوا: لولا أُنزل عليه ءايات من ربه}

فنبينا محمد جاء بآيات جديدة لم تكن من قبل، فليأتنا هذا المدعي الوراثة الرسولية بآيات جديدة أيضاً من ربه الذي يمدّه الآن بالعلم والروح والحق كما يدعي. والجواب على ذلك، {قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين}. أوّلاً، الآيات في الحقيقة ليست هذه التي في سطوركم، هذه الآيات التي عندكم هي ظلال الآيات الحقيقية، الآيات الحقيقية إنما هي عند الله، في الواقع والوجود، في عالم البقاء والآخرة حيث تأويلها قائم. ثانياً، إنما أنا نذير مبين، أنذركم بتلك الآيات الحقيقية، وأبيّن لكم هذه الآيات العربية. أنذركم بأنكم تركتم كتاب الله الحقيقي والعربي، وأبيّن لكم كيف تركتموه وأعرضتم عنه واتبعتم ما ألفيتم عليه آباؤكم في ما ضلّوا فيه بل ولم تتبعوهم في ما اهتدوا به.

بعض الذين يعتقدون بأن الآيات إنما هي خوارق عادات طبيعية لا حقائق ذاتيات إلهية وأخروية. هؤلاء الذين سحرهم الدجاجلة وضللهم الكفرة من شيوخهم وأحبارهم ورهبانهم من دون الله وخاتم النبيين وبعيداً عن تعاليم القرءان العظيم، هؤلاء لا يريدون العلم والإنذار المبين. فيقول لهم عنهم، ويقول أيضاً عن الذين يتعلّقون بظاهر الكتاب الإلهي بدون باطنه الحي المأخوذ من الله الحي المعلّم الآن الكاتب في قلوب الذين أوتوا العلم في عصرهم حقائق العلم والحكم، عن هؤلاء وغيرهم من أشباههم سيقول {أَوَلم يكفهم أنّا أنزلنا عليك الكتاب يُتلى عليهم، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون}. إنزال الله لروح وفهم الكتاب الذي بأيديهم لرسل عصركم أولى من كل ما تقولونه وتطلبونه، لأنه بيان حي من الحي، وبيان حق من الحق. ففي ذلك رحمة لمن تعذّبوا بأذهانكم الكليلة، وذكرى لمن عقلوا الحق لكنهم غفلوا عنه ونسوه بعدما علموه، من القوم الذين يؤمنون أي يسعون باستمرار لرؤية آيات الله في الآفاق والأنفس ويشهدونها في الله والآخرة ظاهراً وباطناً، فهو رحمة لهم لأنهم سيصلوا إلى العلم الذي يريدون رؤيته وسيدركون الوجود الذي يطلبون معرفته ويحصّلون النافع الذي سعوا له. وذكرى من حيث أنه تذكير باستمرارية حياة الدين وإشراق نور رب العالمين والاتصال ما بين الله وعباده بحبله الممدود الذي هو كتابه الكريم وذلك عبر رؤية رسله الأحياء والأولياء العلماء ورثة الأنبياء في أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم ويُظهرون حقيقة قصص الأنبياء في زمانهم وتظهر بهم.

فماذا لو كفروا بذلك ورفضوا رسل عصرهم الذين يأخذون الكتاب الحي من الحي تعالى في صدورهم ويبيّنون ما ورثوه من كتاب الله بكلامهم؟ يقول {قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً، يعلم ما في السموات والأرض، والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون}. فلا إكراه بل سنقول لهم قولاً. أوله {كفى بالله بيني وبينكم شهيداً} فما أقوله لكم عن الله تعالى

وفيما يتعلق بنفسه وأسمائه وإرادته وفعله فمَن عرف الله سيعرف حقيقة ما أقوله، ومَن لم يعرف الله لا يحق له أن ينكر عليّ لأنه يتكلم فيما لا يعرف. ثانيه {يعلم ما في السموات والأرض} فما قلته لكم عن عوالم الخلق العلوية والسفلية، الروحية والجسدية، الآفاقية والأنفسية، فانظروا في العالَم ثم احكموا إن كان حقاً أم باطلاً، فالعالَم الآن مرئي لنا فتعالوا ننظر فيه ونرى إن كان ما نقوله حقاً أم لا. ثالثه {والذين ءامنوا بالباطل} فالكلام كله إما كلام عن الخالق وإما كلام عن المخلوق، فمن ءامن بالباطل أي لم يرجع بالكلام الدال على الخالق إلى معرفته المباشرة بالخالق ولم يرجع بالكلام الدال على المخلوق إلى معرفته المباشرة بالمخلوق، فهو ممن ءامن بالباطل، {وكفروا بالله} لأن الكفر بكلام الرسول عن الخالق وعن خلقه الذي هو تجليه فهو منه وفيه، هو كفر بالله، إذ لابد من الكفر بالله في ذاته وفي فعله حتى تكفر بكلام الرسول المعبّر والدال عن الله في ذاته وفي فعله. فمن فعل ذلك ف{أولئك هم الخاسرون} دنيا وآخرة، إذ سيبنون اختيارهم وعملهم وسيكون حالهم في نفوسهم مبايناً لنور الوجود فلا يبقى إلا ظلمات العدم، فخسران في الدنيا وخسران في الآخرة "والذين كفروا أعمالهم" الذهنية والبدنية " كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء" في الآخرة يظمأ إلى الحسنة "حتى إذا جاءه" جاء عمله المتجسّد له الحاضر أمامه "لم يجده شيئاً" لأنه بنى ذهنه وسلوكه على العدم، "ووجد الله عنده" وهو الحق الذي أنكره، "فوفاه حسابه" بحسب ما قدّمه من فكر وسلوك، "والله سريع الحساب" إذ حسابه فوري آني ذاتي، بمجرّد ما يشهد بطلان ما عنده ويبقى مفلساً بنفسه حينها يكون قد وفاه حسابه وسيحلّ في الدار المناسبة لنفسه. الجنة دار الوجود والنار دار العدم. رسل الله جسور الجنة، وما سوى كلامهم فجسور النار. فأنت وذاك.

...

أرسلت لي تريد نصيحة وفي ضمن الرسالة كلام عن نفسها جعلني أقول لها:

أنا لا أنصح ولا ينفع نصحي إلا مَن اختار أن يحيا بحسب طريقة الله وحول مركز كتاب الله، تعلماً وتعليماً. غير هذا مالي علاقة بالناس.

...

(١)

{والذين كفروا} ستروا واجب الوجود الظاهر فيهم،

{لهم نار جهنم} لهم حقيقة الإمكان والفقر الذاتي،

{ولا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها} كذلك الممكن بين الوجوب والاستحالة، فلا يُقضى عليه فينعدم كالمستحيل الوجود، ولا يُخفف عنه من فقره الذاتي لأنه ذاتي له ولا يتغيّر ما هو عليه أزلاً وأبداً.

{كذلك نجزي كل كفور} ستور للوجوب المتجلي له وبه.

(٢)
{وهم يصطرخون فيها} الدعاء بلسان الحال،
{ربنا} واجب الوجود بذاته المفيض علينا الوجود قهراً حتى أخرجنا من ثبوتنا في علمه إلى ساحة خلقه،
{أخرجنا} من عالم الخلق،
{نعمل غير الذي كنّا نعمل} أي لا ندعوك بلسان المقال أن تُبقينا في ثبوتنا العلمي ولا نسألك بلسان حالنا إدخالنا في عالم التكوين والخلق.
{أولم نعمّركم} من الأزل في علمنا ،
{ما يتذكر فيه من تذكّر} بالنظر في ذاته ومعرفة أفضلية بقائه في العلم،
{وجاءكم النذير} من رتبة إمكانكم تُنبئكم بأن الثبوت أولى لكم من الخلق،
{فذوقوا} ظهوركم إلى الخلق والتقييد الطبيعي والتدريج الزمني والقانون السببي،
{فما للظالمين} لأعيانهم الثابتة بسترها بحجاب المخلوقية،
{من نصير} ينصرهم على حجاب المخلوقية وقيوده المتعددة.

...
{إن الله علم غيب السموت والأرض} ، خطّ اسم عالِم هنا هو {علم}.
{بلى وهو الخلق العليم}، خطّ اسم خلّاق هنا هو {خلق}.
لأن العلم حقيقة العالِم فهو سمته وسمته عين اسمه واسمه عين ذاته. والخلق حقيقة الخلاق فهو سمته وسمته عين اسمه واسمه عين ذاته. فلا فصل في الحقيقة بين العلم والعالِم، وبين الخلق والخلّاق.

...
{قال هي راودتني عن نفسي ، وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُدّ من دبر فصدقت وهو من الكاذبين}
لمّا قال، ناقضه غيره ودخل في الإمكان. لو سكت لما كان في الحقيقة إلا الواقع ذاته. لكن لما عبّر عن الحقيقة بقوله، انفصلت الحقيقة عن القول إذ القول يدلّ على الحقيقة وليس عين الحقيقة التي يدلّ عليها، فلمّا كان القول بحد ذاته يفصل الحقيقة إلى دال ومدلول، كان للقول رتبة الإمكان بين الصدق والكذب واحتاج أيضاً إلى دليل من خارج القول ذاته ليدلّ عليه. فلمّا ظلم القول الحقيقة بفصلها إلى دال ومدلول، ارتدّ عليه ظلمه فصار مفصولاً إلى قول وبرهان،

أي احتاج القول إلى برهان من خارجه ليثبت صدقه مثل "هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين"، ومثل هنا "شهد شاهد من أهلها، إن كان..وإن كان"، فدخل في "إن" الإمكان. الصامت صادق بذاته موحّد الحق. أما القائل فقسم الوجود إلى أربعة أقسام، الواقع والقول والبرهان والعقل. إذ لابد من عقل ليستقبل القول وينظر في البرهان حتى يعرف مطابقته للواقع. فالواقع شيء، والقول والعقل والبرهان شيء يسعون للتقرب إلى الواقع أو الاتحاد به. إلا أن القول تعبير العقل عن رؤيته، والبرهان وسيلة العقل لتصديق قول عقل غيره. فمرجع القول والبرهان إلى العقل. وتعدد العقول هو الذي دفعها إلى صناعة القول والبرهان. فأصل المصيبة في العقل. العقل معقول عن الواقعية الصرفة لذلك لا يكتفي الشاعر بالخمر بل "وقل لي هي الخمر". قدرة العقل على القول وتعاطيه الجدل خلق واقعاً موازياً للواقع المحض. من هنا تجد كلمة الكفر داخل كلمة الفكر. لأن الفكر كفر بالواقعية المحضة، لابد أن يوجد شيء من الكفر في كل فكر. تقطيع الوجود إلى أوصال، ثم النظر في بعضها دون بعض، أو محاولة ربط بعضها ببعض بروابط الجوهر والصفة أو السببية أو الترابط الزمني والاقتران الصوري، كل ذلك من إفك العقل. فالعقل عدو الواقع. الحواس أكرم من العقل لأنها واقعية بحتة، كل حاسة تحس ما تحسه ولا تحس إلا الواقع ذاته الذي يفرض نفسه عليها قهراً فتأخذه بحسب ذاتها. أما العقل فيصطنع الموجودات ويرسم الوجود كما يشاء ومن هنا الكذب. "إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين"، فعرف الشاهد أن قول يوسف بحد ذاته دليل على أنه يريد رسم صورة للواقع هنا كما يشاء، ولم يفترض فيه الصدق المطلق. كذلك كل قول ولو كان قول الرسول "إن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا" بكذا وكذا، فحتى تنزيل الله الحكيم داخل في إمكان "إن"، ويفتقر إلى وسيلة من غير ذاته حتى تثبت حقانيته "فأتوا" أو " سنريهم آياتنا..حتى يتبين لهم أنه الحق" فالآية ذاتها من حيث هي قول عن الحق لا يتبين أنها حق بنفسها بل لابد من توسّل بالرؤية الشخصية ورؤية مصداق القول في الآفاق والأنفس. الحاصل: العقل بقوله وبرهانه بمجرّد وجوده ينفصل عن الواقعية المحضة وإن كان يتقرّب إلى الواقعية بتفكيره ثم بتعبيره عن قوله والبرهنة عليه. إن لم يكن ثمة طريق للواقعية غير العقل بتفكيره وقوله وبرهانه، فيا لشقاء آدم وذريته.

...

عملت تحليل دي إن إي لأعرف عرقي. فتبيّن لي التالي:

القسم الأول.

<u>٨٧٪ من غرب آسيا وشمال أفريقيا</u> كالتالي (٥٨٪ من إيران والقوقاز والعراق، شرق تركيا من ملاطيا تحديداً. و ٥٪ أناطوليا. ٢.٩٪ من قبرص. ٩.١٪ من شمال غرب آسيا بشكل عام).

٩.٩٪ فقط عرق عربي ومصري وسوري. (٣.٧٪ من سوريا تحديداً حلب ودمشق مع ريفها. ١.٧٪ مصري. ١٪ مصري قبطي. و ٣.٥٪ من بلاد العرب ومصر والشام بشكل عام.).
٤.٪ شمال أفريقيا.
١.٧٪ من غرب آسيا وشمال أفريقيا بشكل عام.

القسم الثاني.
١١.٧٪ أوروبي.
(جنوب أوروبا ٩.٣٪ هكذا: ٨.٧٪ من الإغريق والبلقان تحديداً البيلوبونيز ووسط مقدونيا وأتيكا. ثم ٦.٪ من اسبانيا والبرتغال.)
١.٨٪ شرق أوروبا.
١.٪ شمال غرب أوروبا (تحديداً فنلندا)
٥.٪ أوروبي بشكل عام.

القسم الثالث.
<u>٩. ٪ من الصحراء الدنيا لإفريقيا</u> (سَب ساهاران أفريكا)
تحديداً من شمال شرق أفريقيا هكذا: ٧.٪ سودان، والباقي ٢.٪ من شمال شرق أفريقيا بشكل عام.

القسم الرابع.
٣.٪ ياباني.
٢.٪ من شمال شرق أفريقيا بشكل عام.

القسم الخامس.
١.٪ غير محدد.

أقول: هذه خلاصة التقرير الذي بعثوه لي بعدما بعثت لهم بقارورتين لعاب أو ثلاثة لا أذكر بالضبط، لكني أنقل عن التقرير.

قد تقول: وما فائدة نقل مثل هذا التقرير؟

أقول: لا أدري بالضبط، لكنه شيء عنّي لعل بعض الناس يستهويه مثل هذا. فمن الجيد أن يجده في مكان ما من كتبي. وأمر آخر، حين عرفت هذه المعلومة وأن دمي كوكتيل من اليابان إلى السودان إلى ما لا يعلمه إلا الرحمن، ازداد شعوري بسخافة التعصب والانحصار في فئة والانتساب إليها. بل بالأخص كنت أحسب نفسي ويحسبني الكل أني عربي وسوري، وإذا بجانبي العربي والسوري أقلّ من جانبي الإغريقي! (من هنا شغّال فلسفة ليل نهار بفضل الله). هذا أمر، وانظروا فيه كما تحبّون. مع ملحوظة أن هذا التقرير صحيح لأني فعلاً من حلب وجدتي تركية ولنا أصول من جدي عداس أوروبية، ففيه علامات الصدق، فضلاً عن أنهم لم يذكروا شيئاً عن أصول من منطقة كندا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية مما يعزز مصداقيته إذ لم تكن هذه الأرض مكتشفة بالنسبة لسكان العالم القديم عموماً. لكن أموت وأعرف مَن من أجدادي نكح فنلندية أو يابانية...أو لعلها منكوحة لا ناكح !

...

آيات كتاب الله

ظاهرها نور ونار، فتجد وصف حزب الله وحزب الشيطان، وتجد أحكام للمؤمنين وأحكام على الفاسقين، وكذا ستجد فرقان بين أصحاب الجنة وأصحاب النار.

لكن يوجد عمق باطني تُرى فيه كل الآيات كنور فقط. حتى النار تصبح نور، تصبح نار موسى الكليم، نار الغرام العميم. وهو مستوى الحقيقة الوجودية العليا الماوراء مظاهر الطبيعة. هنا مستوى الجمع لا الفرق، يعني جمع وتوحيد كل شيء على أنه نور إلهي خالص أي قرءان.

ففي كتاب الله مستوى ظاهري هو فرقان، ومستوى باطني عميق هو القرءان. (من قرء بمعنى جمع).

المسلم يأخذ بظاهر الفرقان، المؤمن يأخذ بظاهر الفرقان وباطنه، لكن العارف هو الذي يأخذ بظاهر الفرقان وباطنه مع القرءان فخصوصيته أنه يقرأ الآيات أيضاً بعين "الله نور السموات والأرض" فلا يوجد إلا هذا النور الوجودي الواحد المطلق الذي لا يشذ عنه شيء ولا يعارضه شيء.

وعلى ذلك، العارف لا يتقلب مزاجه مع تقلب الآيات ما بين وصف الجنة والتقوى وحزب الله المؤمنين، وبين وصف النار والفسق وحزب الشياطين الكافرين. لأنه ينظر بعين الوحدة الجامعة التي تجد فيها "موسى وفرعون متعانقين". هذا أكبر كنوز القرءان التي يفتحها الله على مَن

أخلص كل حياته له ولكتابه ولرسوله. الذي لا يرى إلا الله في الوجود سيجعله الله لا يرى أحداً سواه في القرءان. والله هو الحق بالتالي هذه العين لا يبقى فيها إلا الحق فيغيب التمييز بين الحق والباطل بل الباطل نفسه يصبح مَثلاً من أمثال الحق.

من هنا قال النبي "أهل القرءان أهل الله وخاصّته". فهم أهل الله لأنهم ينظرون لظاهر القرءان الذي يتميز فيه الحق من الباطل والعدل من الظلم فيأخذون بالحق والعدل ويتركون الباطل والظلم، كما أن أهل البيت أزواج النبي يفعلون كذا ولا يفعلون كذا. لكن هم خاصّته، خاصة الله والذين لهم خصوصية إلهية، لأنهم يبصرون باطن القرءان الذي ليس فيه إلا الحق وكل شيء مشهود فيه هو نور محض. فأخلص دينك لله وأقم وجهك للدين حنيفاً بأن يكون كل همك وكل أمرك هو التوجه بالله لله عساه يفتح لك الكنز الأعظم وينكشف لك السرّ المُطَلسَم.

...

من آيات النار النورانية

(إن لدينا أنكالاً وجحيماً. وطعاماً ذا غُصة وعذاباً أليماً)

(إن لدينا) وهو النور الحق، فكل ما لديه نور وحق. وهنا الكلام عن الأعيان الثابتة في علمه تعالى ما قبل تكوينها وخلقها. فهي لديه لأنه قبل الخلق "بكل شيء عليم". فالشيء في علمه تعالى قائم لديه. ووصفه كما ترى في الآية.

(أنكالاً) هي القيود الشديدة، لأن كل شيء موجود مقيّد بموجوديته وحدوده الذاتية التي لا يمكن تبدلها ولا تغييرها ولا الإضافة إليها بل لها ثبات مطلق لا مفر منه. إذ علم الله كل شيء على ما هو عليه، كما أن كل عدد في سلسلة الأعداد له قدره ومرتبته ولا يمكن تغييره، فالخمسة خمسة ولا يمكن أن تصبح سبعة أو أربعة. كذلك كل موجود له سمته الذاتية أزلاً وهو مقيّد بها بشدة يعني مطلقاً.

(وجحيما) هي النار المستعرة التي يُحرقون بها، وهي الهوية الأحدية المتجلية بالكل والمحيطة بها "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم". فرمزها النار لأن النار تهلك ما يدخلها ولا يبقى إلا النار كذلك هنا "كل شيء هالك إلا وجهه"، فكل موجود هو وجه من وجوهه ولا وجود مستقل له عن هويته تعالى. وظهور الهوية الأحدية مستعر أزلاً أبداً إذ هو وحدة مطلقة تحرق كل شيء أي تؤثر بمعنى تظهر بكل شيء فلا موجود إلا وهو صورته تعالى.

(وطعاماً ذا غُصّة) هذا حين جاء أمر "كن" للأعيان الثابتة بالتكوين والهبوط لمستوى الخلق. فالقول طعام نشب رمزياً في حلوق الأعيان، لأنه لا مجال لإنكار أمر الحق لكنها لا تحب الانفصال ولو بالظل عن ثبوتها في علمه الواحد إلى النزول في عوالم الكثرة والتفريق.

(وعذاباً أليماً) بعد التكوين، لأن العين الثابتة كاملة ذاتياً في العلم لكنها بعد التكوين صارت بحاجة إلى الاستكمال بالتدريج الزمني وهو عذاب، واتخاذ أسباب وهو عذاب، والشك في بلوغ الكمال وهو عذاب، والجهل بالوسائل والخوف من سوء استعمالها وهو عذاب، والشعور بالانفصال عن الحق تعالى واحتجابه وهو عذاب، وهكذا نزول العين من العلم إلى الخلق عذاب أليم لها.

...

من آيات النار النورانية

(نار الله الموقدة. التي تطلع على الأفئدة. إنها عليهم مؤصدة. في عمدٍ مُمَددة.)

(نار الله الموقدة) اسم الله مثله نار، فمن هنا نأخذ مفتاح تأويل آيات النار أنها عبارة رمزية عن الله "كل شيء هالك إلا وجهه". الله في غيبه نار وفي شهادته نار موقدة فهي موقدة بظهور آثارها وشررها وهي تجلياتها في الموجودات.

(التي تطلع على الأفئدة) اسم الله قد تبصر حروفه، وقد تسمع نطقه، فيكون مطلعاً على بصرك وسمعك، لكن الآية هنا عن الاصديق بحقيقة الاسم "ما كذب الفؤاد ما رأى". فهذه النار الإلهية تطلع على الفؤاد فتحرقه أي تقهره بظهور حقيقتها للفؤاد بنحو لا يملك إلا التصديق بها بيقين قاطع. لأنها موقدة يعني متجلية للسمع والبصر معاً، ومباشرة لكل الحواس والقوى ظاهراً وباطناً، فلا مجال يبقى لتكذيب الفؤاد بها أو حتى الشك فيها "أفي الله شك فاطر السماوات والأرض". العوالم هي نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة.

(إنها عليهم مؤصدة) أوصدته يعني طبّقته وأغلقته، وهذا من قوله للجن والإنس "إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان". هذا هو الإيصاد. فالنفس موصد عليها السماوات، والجسم موصد عليه الأرض. كل موجود من مستوى فهذا المستوى الكوني موصد عليه لا يستطيع تجاوزه.

(في عمد ممددة) العمد سلاسل وأغلال. أما السلاسل فالسببية، قانون السبب والأثر يحكم العوالم كلها، وسلسلة السببية محيطة بالكل ولا مخرج منها. والأغلال القيود الباطنية كالقيود الظاهرية المعبّر عنها بالسلسلة. يعني كل مستوى له أسباب تقيمه وتمدّه بحقيقته وصفته ولا مخرج له من هذه الحدود الإلهية. وهذه الأسباب ممدودة من أول الكون إلى آخره وتربطه كله ومن هنا قال "فلن تجد لسنة الله تبديلا".

إذن، الآيات تعبّر عن ظهور حقيقة الألوهية بالعوالم وتقييد كل موجود فيها من حيث فرض الاعتقاد بوجودها والقيود المحيطة بالنفس من كل وجه. يعني تجلي الألوهية أظهر العبودية الكونية. طوعاً وكرهاً لا يهم، فالكل في هذا البحر غارق.

...

يوجد مستوى من التأويل القرءاني
ينقلب فيه الحق إلى باطل والباطل إلى حق، والنعيم إلى عذاب والعذاب إلى نعيم، وهكذا تنقلب كل الأمور وتعطي عكس معانيها.

في هذا المستوى آيات الجنة تصبح آيات وأمثال تكشف عن النفوس الجاهلة والضالة والغارقة في أناها الضيقة. وكل ما فيها عبارة عن الغفلة عن الحق تعالى ووحدته المطلقة. فهي آيات الجنة الظلماتية.

من هذه الآيات قوله (إن للمتّقين عند ربهم جنّات النعيم)

(إن للمتقين) الاتقاء يكون ثلاثياً دائماً، فيوجد متقي ومُتَّقى به ومُتقى. مثلاً أنت تتقي الأسد بالسلاح. الطفل يتقي الجوع بالرضاعة. وهكذا لابد من التثليث. المتقون إذن من المشركين بهذا الاعتبار. لأنهم جعلوا أنفسهم وجوداً مستقلاً، وجعلوا الحق تعالى وجوداً مستقلاً منفصلاً عنهم، ثم جعلوا بينهم وبين الله موجوداً ثالثاً يتقونه به فاعتقدوا أن هذا الثالث يقاوم أو يحجب تأثير الحق تعالى فيهم لذلك يتقونه بوسيلته. فهؤلاء من الذين يقولون أن "الله ثالث ثلاثة".

لذلك فوراً ظهر شركهم هذا ب(عند ربهم). فصار يوجد في أذهانهم شيء عند ربهم وشيء ليس عند ربهم، فحدّوا ربهم. ولاحظ أنه قال "ربهم"، فقيّد الرب بهم، لأنهم هم الذين صنعوا هذه الصورة عن الإله المطلق واختلقوا صورة محدودة له عند أذهانهم. صورتهم هذه هي التي ستؤثر في نفوسهم وتربيها بحسب مضمونها، فصورة عقيدتهم هي ربهم. ثم بالتقوى يطلبون

الترقي والتربية بالتالي لا يزالون يرون وجودهم ناقصاً يفتقر لتكميل، فأنكروا الوحدة المطلقة للهوية الأحدية والنور الإلهي الكامل بذاته لذاته.

(جنّات) هذا أثر شركهم السابق. لأنهم عددوا الوجود صاروا في "جنات" كثيرة متعددة. وهي "جنة" من الجنون لأن المجنون الذي لا يعقل الحقيقة كما هي هو الذي يعتقد بكثرة الوجود واختلاف الرب عن المربوب. لذلك قالوا "يأيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون"، لأن الله لا يمكن نسيانه حتى نذكره، فلولا أنك جننت عن هذه الحقيقة لما نزل عليك الذكر. ثم هي "جنات" لأن عقيدة التثليث للمتقين قد أجنّتهم عن الحقيقة الأحدية مثل "فلمّا جَنّ عليه الليل"، ليل تعددية الوجود والانفصال بين الرب والمربوب والوسائل بينهما قد أجنّهم من كل وجه حتى صاروا بلا عقول. لذلك قال بعدها واصفاً جناتهم هذه بكلمة..

(النعيم) من النعم بمعنى الأنعام، "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام". فهم مجانين كالأنعام لا يعقلون حقيقة أوسع من ضيق أجسامهم ومصالح هواهم وكثرة أوهامهم. جازاهم بجنات النعيم على تقواهم لأنهم مجانين كالأنعام بسبب تثليثهم. "جزاءً وِفاقا".

...

{وقال الذين أشركوا: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا ءاباَؤنا ولا حرّمنا من دونه من شيء، كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين}

أين الشرك هنا؟ ألا تراهم أرجعوا عبادتهم وشريعتهم إلى مشيئة الله، فأين الشرك في الموضوع؟ ستعرف الأمر بإذن الله حين تنظر إلى وصف الله لقولهم هذا، تأمل {كذلك فعل الذين من قبلهم}، فنسب الله الفعل إليهم. يعني هم نسبوا عبادتهم وتحريمهم إلى مشيئة الله، بينما الله تعالى نسب عبادتهم وتحريمهم إليهم هم، وهنا الشرك. هؤلاء أشركوا أنفسهم مع الله. لكنهم ستروا شركهم بصورة توحيد، وما أكثر المشركين الذين يسترون شركهم بالتوحيد من حيث يشعرون أو لا يشعرون. أنت فاعل بحسب مشيئتك، هكذا جعلك الله. فحين تعبد وتحرّم فأنت الذي تعبد وتحرّم، بمشيئتك أنت التي جعلها الله فيك، فقوّتك على المشيئة وعلى الفعل هي قوة أمدّك الله بها وأفاضها عليك، ولا ينفعك أن تتبرأ منها وتنسب فعلك لله خصوصاً إن كان فعلك سيئاً وقبيحاً وظلماً وجهلاً فإن الموضوع هنا هو عبادة مَن دون الله وتحريم الأشياء من دون الله. فالله تعالى نسب القول والفعل إليهم، {قال الذين أشركوا} و {كذلك فعل الذين من قبلهم}. لكن هم نسبوا قولهم وفعلهم وعبادتهم وتحريمهم إلى الله. فجعلوا أنفسهم آلهة مع الله

من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لأنهم خالفوا الحق بعبادة من دون الله وخالفوا الحق بتحريم شيء لم يحرمه الله، فهم مُشرّعين للدين من عند أنفسهم بالتالي هم آلهة عند أنفسهم، لكنهم ستروا هذا القبيح الذي هو تأليه النفس بصورة توحيدية.

بما أن هؤلاء الجبرية الملاعين يزعمون أن الله هو الفاعل لكل شيء ولا وجود للمخلوق مطلقاً ولا مشيئة له، حسناً، {فهل على الرسل إلا البلاغ المبين}، فبناء على قول الجبرية لابد أن يكون الله تعالى هو الذي قال على لسان الرسل ما يبلغونه، وهو الذي أحل وحرّم ما جاء به الرسل. بالتالي يجب عليهم أن يقبلوا العبادة التي بلغها الرسل، ويقبلوا التحريم والتحليل الذي جاء به الرسل. لأنه أيضاً من عند الله إذ لا مشيئة في الوجود لغير الله بأي وجه. وهذا حال الجبرية دائماً، ينسبون فعلهم الظالم هم إلى الله، لكنهم لا ينسبون فعل غيرهم الذي لا يحبونه إلى الله. يقولون مثلاً "الحكومة الحالية جاءت بأمر الله لأن الله هو المالك للكون ويؤتي ملكه من يشاء بالتالي يجب عليكم كمؤمنين بالله أن تطيعونا ولا تخالفونا"، لكن إذا نظرت إلى كيفية تعاملهم مع الحكومات الأخرى المخالفة لهم فلن تجدهم يقولون "هذه الحكومة المعادية لنا أيضاً من عند الله وبأمر الله لأن الله هو المالك الذي يؤتي ملكه من يشاء بالتالي يجب طاعتها وعدم مخالفتها". المنطق الجبري سلاح في أيديهم، يقاتلون به عن عقائدهم وشرائعهم ومسالكهم وأفعالهم الخبيثة، وليس هو حقيقة وجودية وعرفانية يؤمنون بها حقاً ويعملون بمقتضاها في كل المجالات. فهم كما قال الله {الذين أشركوا}.

{فهل على الرسل إلا البلاغ المبين} هذا عمل الرسل، ومن قام به فهو من الرسل وله حظ من اسم الرسل، كما أن من قام بفعل الظالمين استحق اسم الظالمين والمشاركة لهم في جزاءهم دنيا وآخرة، كذلك من قام بفعل المرسلين استحق اسم المرسلين والمشاركة لهم في جزاءهم دنيا وآخرة. فما على الرسل خرق العادات، ولا قلب الدول، ولا تكثير الأتباع، ولا شيء من هذه الأمور يحدد جوهر الرسالة والوظيفة الرسولية. المسؤولية هي {البلاغ المبين} وهو قول وكلام.

{ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم مَن هدى الله ومنهم مَن حقّت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}

{ولقد بعثنا في كل أمّة رسولاً} هذه حقيقة كلّية، لا استثناء لها، ولم يستثني الله منها أمّة بل لو استثنى منها أمّة لانتقضت الكلية. ولا يوجد تعريف لكلمة "أمة" مقبول بل ولا موجود إلا وهو يشمل هذه الأمّة التي نحن الآن فيها وكل أمة إلى يوم الدين. فانظر في كل تعريفات الأمّة وستجد أن شروطها متحققة الآن بالتالي لابد من وجود واحد من أمرين، إما "فترة من الرسل" وإما "رسولاً" مبعوثاً أو رسل بين الناس، أي جنس الرسل لابد من وجوده، بغض النظر عن

الدرجة إذ بين الرسل تفاضل، والنوع والمسؤولية التفصيلية. فلكل أمة رسول مثل لكل نفس أجل مكتوب. لا استثناء من هاتين الكلّيتين ولا غيرها من الكليات القرءانية بالأخص إن لم يبيّن الله الاستثناء لا في النص ولا في السياق.

{أن} أي مضمون الرسالة التي سيأتون بها ملخصه في كلمتين، فعل وترك. أما الفعل فهو {اعبدوا الله}، وأما الترك فهو {واجتنبوا الطاغوت}. فهذا الأصل الكلّي للرسالة سيظهر في تفاصيل وألوان مختلفة، لكن كل التفاصيل ترجع لهذا الأصل. أي مناسك العبادة ستختلف " لكل أمة جعلنا منسكا"، والشرائع والمناهج ستختلف "لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا"، وهكذا ستختلف التفاصيل والمظاهر لكن الجوهر الأكبر واحد وهو عبادة الله واجتناب الطاغوت.

لأن كل إنسان مخيّر بحكم وجود مشيئة خاصة فردية عنده، فالحساب سيكون على كيفية تفعيل هذه المشيئة. وسيكون الناس بين حالتين بشكل عام بالنسبة للرسل. الحالة الأولى {فمنهم مَن هدى الله} وهم الذين عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. الحالة الأخرى هي {ومنهم من حقّت عليه الضلالة}، وهؤلاء ينقسمون إلى أنواع ودركات، فمنهم من عبد الله ولم يجتنب الطاغوت كما قال "وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون"، ومنهم من عبد الطاغوت واجتنب الله. ثم هم على دركات في ذلك كله. فمنهم مثلاً من عبد الطاغوت لكن لم يتعرض لمعاداة مَن عبد الله، ومنهم من عبد الطاغوت بسبب برهان لاح له وظنه برهاناً يدل على الواقع وإن كان باطلاً لكنه صادق في سعيه وتفكيره لكنه أخطأ، وهكذا ستجد أصنافاً داخلة تحت جنس الضلالة هذا.

للاختيار آثار في الدنيا والآخرة. في الأرض والسماء. في الظاهر والباطن. لذلك قال بعدها {فسيروا في الأرض} إذا أردتم أن تعرفوا أن مشيئتكم لها آثار على حياتكم الخاصة والعامة، {فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين}، عاقبة سوء في الدنيا وفي الآخرة. والأرض هنا بالأخص هي الأرض الآخرة "يوم تبدّل الأرض غير الأرض"، لأن السير في تلك الأرض الأخروية الباطنية هي التي يمكن النظر فيها الآن ورؤية حقيقة هذا الكلام الآن ومعرفة أن المكذّبين عاقبتهم سيئة، وأما أرض الطبيعة التي تحت أقدام أبداننا هذه فالسير على سطحها لن يكشف للناظر أثر التكذيب ومعرفة السبب بيقين الذي جعل عاقبة الأقوام على هذه الشاكلة غير تلك، وبدون قراءة التواريخ وسماع أقوال الرواة لا يمكن معرفة ذلك، بالتالي السير في الأرض المادية الدنيوية بحد ذاته لا يكفي لكشف عاقبة المكذّبين، فحرفية القرءان توجب أن الأرض هنا بالمعنى الأَصلي لها هي أرض الآخرة والباطن، ثم من هنا يمكن تنزيل المعنى ورؤية شيء من ظلاله في المستويات السفلى مع وجود غبش وضبابية كثيرة.

{إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين}

{إن تحرص على هداهم} فعرفنا أن "حريص عليهم" تشير إلى الحرص على الهداية وهي شاملة للجميع في البدء في نفس الرسول وكل رسول. فالرسل يعرفون عاقبة المكذبين، ويحرصون على هداية الناس حتى لا تقع عليهم عاقبة السوء التي سنّها الله للمكذّبين. لكن الحرص لا يكفي، لذلك قال {فإن الله لا يهدي من يضلّ}، فالفعل هنا منسوب كله إلى الله، فالله هو الهادي وهو المضل، لكن لما كان الله على كل شيء قدير فإن الذي يحدد تجلي القدرة هو العبد، فالرب فياض مطلق فلا يقيّد الفيض إلا القابل وهو العبد. فالذي يأخذ بوسائل الهداية يفتح لنفسه فيض الهادي، والذي يأخذ بوسائل الإضلال يفتح على نفسه فيض المضل. الأخذ سيكون من العبد، ولا يأتيه من خارجه بل من داخله. لذلك {إن تحرص على هداهم} سبب من خارج العبد، فلا يؤثر فيه وحده، {فإن الله لا يهدي من يضل} أي إذا أخذوا تجلي اسم المضل بسبب أخذهم بوسائل الإضلال فإن الله يكون قد أضلّهم، و{الله لا يهدي من يضل} لأنه تناقض مستحيل، أي العبد إذا أخذ بوسائل اسم المضل ثم جاء الرسول الحريص والذي هو وسيلة لاسم الهادي سيتناقض الفعل الإلهي في العبد، فيكون من داخله يشاء الإضلال ومن خارجه تأتيه مشيئة الرسول للهداية، وهنا أرانا الله أنه سيقدّم مشيئة العبد الداخلية. وهذا مبني على الفردية والاستقلالية التي لكل إنسان عن كل إنسان آخر. فالرسول ليس جزءاً جوهرياً من ذات كل فرد، حتى تكون مشيئة الرسول فاعلة في المرسل إليهم بغض النظر عن مشيئتهم هم. وتأمل أن هذه الآية جاءت بعد "وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا"، فاربط بين الآيات وانظر لكل واحدة في سياقها.

{وما لهم من ناصرين} لأنهم صاروا عبيداً للمضلّ سبحانه، فلا يمكن لشيء في العوالم أن يكون سبباً يقاوم سببية الاسم الإلهي المفيض على عبده بالقبول الذاتي والمشيئة الفردية. لا شيء أعلى من ذلك في التأثير والتغيير.

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم: لا يبعث الله من يموت، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون}

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم} الذين يعتقدون أن الألفاظ تغيّر الوجود بذاتها، أو أن ألفاظهم هم ستحكم عالمهم ومصيرهم بغض النظر عن سنن الله وما قضاه للعالم أي يعتبرون أن الله كأنه غير مالك وملك في كونه وأن الإنسان بمجرّد ما يتمنّى شيئاً ويكرر التلفظ به بقوة وتركيز ذهن سيصبح هذا الأمر حقيقة بالنسبة له.

{لا يبعث الله مَن يموت} كيف علموا ذلك؟ إن كانوا يؤمنون بالوحي الإلهي، فلننظر في الوحي الإلهي الذي جاء به غيرهم وهم الرسل. وإن كانوا لا يؤمنون بالوحي وعلى أساس إنكارهم إياه أنكروا الرسل، فمن أين عرفوا ما سيفعله الله مما لن يفعله؟ أقصى ما يمكن أن يفعلوه هو أن يسكتوا أن يعلنوا أنهم لا يدرون أو الأدلة على البعث غير قوية وكافية. أما هذا الجزم والقطع بالقسم والجهد، فيدل بحد ذاته على بطلان قولهم لأنه لا يمكن معرفته بهذه القطعية المطلقة إلا بواسطة اتحاد علمي بمشيئة الله.

{بلى} رد على النفي بالإثبات. وهذا شأن التعامل مع الدعاوى الوجودية بالكلمات. هذا ينفي وهذا يثبت. فالنفي باللفظ لا يجبر الآخرين على قبول النفي، بدليل إمكان الإتيان بإثبات يردّه وكذلك الإثبات لا يقهر السامعين على الخضوع للإثبات. فالكلام بحد ذاته حر ويستحق الحرية القانونية لأنه على هذه الشاكلة من عدم الإكراه بمجرد إثباته ونفيه للدعاوى العلمية والنظرية.

{لا يبعث الله من يموت، بلى} مَن يموت قلبياً يبعثه الله بإلقاء الروح إليه من أمره. ومن يموت من حكم الجاهلية سيبعثه الله بحكم الله والإسلام. فالبعث حق في النفس والآفاق لمن نظر بنور العقل.

{وعداً عليه حقاً} هذا اتصال بمشيئة الله التي قيّدت ذاتها بهذا الوعد. فإن قيل: لكن من أين لنا أن نعرف أن الله شاء ذلك؟ إن قلتم من النظر في ما عليه أكثر الناس، وكأن أكثر الناس يعرفون أو يكشفون الحقائق العلمية كما يحددون الحالة الاجتماعية، جاء الرد {ولكن أكثر الناس لا يعلمون}. ففي أمور العلم، لا عبرة بالكثرة ولا بالجمهور ولا بالأغلبية. هذه الأمور تنفع في السياسة والاختيارات الاجتماعية. لكن في أمر العلم، الفردية هي الحكم. فقد يعرف فرد ما يجهله البقية، وقد يكون الحق مع الأقلية.

{ليبيّن لهم الذي يختلفون فيه، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين}

هذا البعث. بيان الاختلاف والعلم بالكذب والصدق. لذلك حين يأتي الرسل فإن البعث قد حدث. لأن الرسل يأتون ليبينوا للناس الذي يختلفون فيه كما قال "إن هذا القرءان يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون"، وكذلك قال في عيسى "لما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه". فتعليم القرءان بعث. كذلك إظهار الصدق والكذب بالعلم أيضاً بعث. من هنا نقول القيامة تقوم بنشر العلوم، لأن الغرض من القيامة قد تحقق وروح القيامة أشعّت.

فهذه الآية في بيان البعث العلمي. وهو البعث الباطني والقيامة الصغرى الكلامية. والآية التالية في بيان البعث العلمي والبعث التكويني أيضاً وإن كانت أظهر في البعض التكويني إذ تقول...

{إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}
فكما تكوّن العالم بكلمته كذلك يتكوّن عالم آخر بكلمته. هذا تأويل.
تأويل آخر، الدنيا مظهر الخلق بينما الآخرة مظهر التكوين، أي اليوم الظاهر الدنيا والباطن التكوين، وغداً في القيامة الكبرى سيصبح الظاهر التكوين والباطن الخلق، فيتم العدل.
تأويل ثالث، كوّن الله كل شيء بصورته الكاملة، لكن يظهر في عوالم الخلق بالتدريج وقد يبلغ تمامه وقد لا يبلغه بحسب عمره وحاله، لكن الله "بالغ أمره"، بالتالي لابد من بلوغ كل شيء إلى الطور الأعلى له الذي كوّنه الله عليه في صورته العالية يوم "كن فيكون". فلما لم نرى الأشياء تبلغ كمالها، خصوصاً الناس، في هذه الدنيا بالضرورة، عرفنا وجود نشأة أخرى سيبلغ فيها كل إنسان كماله المقدّر له وهي الآخرة.

لأن الذين أشركوا من منكري البعث يعادون مثبتي البعث، ويرفضون تعليمهم وكلامهم واختلاف دينهم عنهم، ولابد من البلاغ المبين على الرسل والمؤمنين الذين هم رسل الرسل فهم رسل رب العالمين. فالتعارض العنيف لابد من وقوعه بين الطرفين. لأن طرف إنكار البعث يريد إسكات طرف إثبات البعث، وطرف إثبات البعث يرى واجب التبليغ المبين للبعث. بكل معاني البعث الظاهرة والباطنة، والصغرى والكبرى. فلمّا كان طرف منكر البعث يرى الإكراه في الدين والتبيين، وطرف إثبات البعث يرى وجوب التبليغ والتبيين، سيحصل عدوان من منكر البعث على مثبت البعث. فما العمل حينها؟ أوّل عمل هو الذي يبينه في الآية التالية...

{والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلموا، لنبوئنهم في الدنيا حسنة، ولأجر الآخرة أكبر، لو كانوا يعلمون.}
الهجرة هي الحل الأول. {والذين هاجروا في الله} أي بسبب ما كلفهم به الله من البلاغ المبين. {من بعد ما ظُلموا} وهو العدوان والإكراه الواقع عليهم بسبب دينهم الذي علمهم إياه الله ونشر كلامهم الذي آتاهم الله إياه.

{لنبوئنهم في الدنيا حسنة} جزاء بعثهم الظاهري، أي البعث بالبيان والصدق، بعث القيامة العلمية والعقلية الصغرى. {ولأجر الآخرة أكبر} جزاء بعثهم الباطني، أي البعث بالتحول من الجهل إلى العلم، ومن الشرك إلى الوحدة، ومن العبودية للخلق إلى العبودية للخالق. ففي الآخرة الكبرى العليا سيكون أجرهم أكبر إذ هاجروا في الله وليس طلباً لأجر من أحد من البشر والدنيا.

{لو كانوا يعلمون} لو كان الذين ظلموهم يعلمون ذلك. لأن "لو" تنفي هنا، وقد عرفنا أن الرسل يعلمون ذلك، فالذين لا يعلمون هم الذين ظلموهم. ولو علموا لما ظلموهم، أو لو كانوا أصحاب مبدأ حرية دين وتبيين لما ظلموهم. لكنهم لا هم علموا حقيقة أمر الآخرة، ولا علموا ما تقتضيه حقوق الناس الفطرية، ولا علموا الأصلح لهم في الدنيا لأن الرسل سيهاجرون ثم سيأتون بأنصارهم ليدمدموا عليهم جزاء ظلمهم. "أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير".

{الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون}

الصفة الأولى للمهاجرين في الله، حتى تقوم هجرتهم، هي {صبروا}الصبر على مشاق الهجرة الأولية والخوف من الغربة وترك الأهل والأوطان والأموال والعادات. لكنه صبر ظاهره شاق وباطنه خفيف ولطيف ودواء لآلام روحهم وإذلال كرامتهم الإنسانية.

الصفة الثانية لهم {على ربهم يتوكلون} لأن في الهجرة مجهولات كثيرة، فمن لا يتوكل على ربهم الذي ربّاه وسيربّيه ويعتني به ويبلغه كماله المقدر له ويعطيه رزقه المكتوب له، غير المتوكل سترعبه الهجرة والغربة التي فيها والمجهول سيقتله، فلابد من التوكل كدواء لكل هذه الأمراض القلبية والدينية.

الصبر والتوكل جناحان للطيران في الدنيا إلى الحرية الإنسانية، والطيران في الآخرة إلى الجنّة العلية. وكلاهما من ثمار شجرة النور الإلهية. فلا يترك الهجرة في الله إلا فاقد أو ناقص صبر وتوكل. وقد جعل الله الصبر الإيمان في آية، وجعل التوكل عدلاً للتوحيد في آية، وقال النبي أن الصبر رأس، بالتالي مَن لا صبر ولا توكل له فلا رأس ولا روح له.

ما اسم الذين يهاجرون هؤلاء، الذين استقلّوا بأنفسهم ودينهم ولم يتقيّدوا بأرض ولا شخص لا وطن ولا أهل ولا مال ولا تجارة ولا سكن ولا شيء من أمر الدنيا إلا وجعلوه تحت أقدامهم وجعلوا الله وكلمته فوق رؤوسهم؟ ما اسمهم أي ما الاسم المعبّر عن هذا المقام العالي؟ هذا ما تبيّنه الآية التالية...

{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}

أعطاهم أسماء، منها بالتصريح ومنها بالتلميح. الاسم الصريح الأول هو {رجالاً}، فهم رجال. ليسوا ذكوراً، لكنهم رجال. ترجّلوا، وقفوا على أقدامهم وتحركوا بأنفسهم واستقلّوا بدينهم عن أهلهم وأوطانهم وأملاكهم في سبيل إعلاء كلمة ربهم. الاسم الصريح الثاني هو {أهل الذكر}، وذلك لأن أصل سعادتهم وقاعدة حياتهم هي ذكر الله، لا الناس ولا الفلوس ولا الحواس، بل ذكر الله وما يشعّ منه من تفكر في الخلق ودعاء للنجاة في الآخرة. فنفوسهم لها أهلية قبول الذكر، وروحهم تزوجت كتاب الله وتخصّبت عقولهم بكلمته العليا. أما الاسم الملمح إليه الأول فهو من {أرسلنا} أي هم الرسل، لأنهم حملة رسالة الله والذين يبلغونها بالبلاغ المبين في الأرض، فالوحي بهم موصول بالأرض ومشرق على الناس كالشمس وإن أنكرها الأعمى ولم ينتفع بها الدافن نفسه في مقبرة الكفر والغفلة إلا أنها موجودة وبها حياة الطبيعة. الاسم الملمح إليه الثاني من {فاسألوا} أي هم المراجع، مراجع العلم بالله ووحيه وإرادته في الأرض في عصرهم. الاسم الملمح إليه الثالث من {إن كنتم لا تعلمون} فهؤلاء يعلمون، إذن هم العلماء.

{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم} هكذا كان الحال من قبلك، وهكذا هو في عصرك، وهكذا سيكون من بعدك، لأن إرسال هؤلاء من سنّت الله التي لا تتبدل ولا تتحوّل، فما كان من قبلك يكشف عن سنة الله الكائنة الآن بك ومن بعدك "ما كنت بدعاً من الرسل". فلابد من وجود مثل هؤلاء الرجال في الأرض دوماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها على اختلاف درجاتهم وألسنتهم وألوانهم.

{رجالاً نوحي إليهم} وحيهم حي من لدن الحي، وليس وحي الألفاظ فقط ولا هم ورثة دفاتر وسطور، بل وحي الروح وكتب القلب كما قال تعالى " أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه". ومن هنا ستجد ولابد معاداة أهل الألفاظ والدفاتر لهؤلاء الرجال بحجّة مخالفتهم لما عندهم من عقائدهم الفاسدة في هذه الألفاظ والدفاتر كاليهود الذين يقولون "لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم" و "إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا"، ومن ذلك أنهم لا يعتبرون الرجال رجالاً إلا إذا كانوا تبع لسلسلة رجالهم هم وتبع لطوائفهم ومؤسساتهم الدينية حصراً وينكرون ما وراء ذلك ولو جاءهم خاتم النبيين بكتاب رب العالمين الذي تشهد عليه السموات والأرضين " ولقد أريناه آياتنا كلها فكذّب وأبى". ومن آثار ذلك أيضاً أنك ستجد عبيد الألفاظ وسكنى القبور يقولون "لن يبعث الله من بعده رسولاً" عن رجل بعينه سواء كان رسولاً أو دجالاً من دجاجلتهم، لكنهم سيحصرون إرسال الله في شخص ثم يزعمون أنهم ورثوا "أثر الرسول" ومنه سيصنعون العجل المناسب لهم ولقومهم بحسب رأيهم الذهني الفاسد "وكذلك سوّلت لي نفسي". خلافاً لرجال الله الذين هم {رجالاً نوحي إليهم}. الوحي فيه كلمة حي

داخله، وكذلك الوحي دائماً حي لا يموت، "لا يأتيه الباطل"، أما من سوى هؤلاء الرجال فهو ميت ودينه ميت ودفاتره ميتة، "أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون" بل ولا يأملون البعث من هذا الموت لأنهم لا يرون ورائه شيئاً ليُبعثَوا فيه أصلاً.

من عرف رجال كلمة الله العليا هؤلاء ممن لم يكن منهم لكنه عرفهم، إذ هو إما واحد منهم وإما ليس منهم، فإن كان منهم فأمر الله له هو باتباع ما يوحى إليه من ربه ومن كتاب ربه {رجالاً نوحي إليهم} و "اتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك". وإن لم يكن منهم فيجب عليه أن يعرفهم، فإن عرفهم فتكليفه الرباني هو {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون}، اسألوهم عن الذكر والوحي الذي عندهم، الوحي الحي النازل عليهم الآن وفي عصرهم، واسألوهم عن أنفسكم ومقامكم عند ربكم ومصيركم واستفتوهم حتى يعطوكم الجواب المناسب لكم والنازل من أجلكم من ربكم.

{فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} إن كنتم لا تعلمون عن إرسال الله لرجال يوحي إليهم، فاسألوا أهل الذكر الذي تؤمنون أنه ذكر من عند الله وسيخبرونكم بهذه الحقيقة والسنة الإلهية. لكن الصادق من هؤلاء فقط هو الذي سيخبركم، إذ غيره سيكتم أو يحرّف أو هو من أهل الأماني ولا يعقل شيئاً حقيقياً من كتاب الله. لذلك هذا تأويل أدنى من السابق بيانه في شرح معنى سؤال أهل الذكر.

{إن كنتم لا تعلمون. بالبينات والزبر} أي لا تعلمون بالبينات والزبر، موضوع عدم العلم هو البينات والزبر. فاسألوا أهل الذكر، لا أهل الفكر ولا أهل الدعاء ولا أهل الأماني والقشور. بل ابحثوا عن أهل ذكر الله تعالى الذين يذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فإن نور الذكر سيجعلهم يعلمون حقيقة الرسل والرجال. وبهذا النور سيدلّونكم على الحق. لكن إن كنتم تعلمون بالبينات والزبر فسيكون فيكم نوركم الذي به ستعرفون الرسل في عصركم.

{بالبينات والزبر، وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نُزل إليهم ولعلهم يتفكرون}

الوحي سيأخذ صورة بينات وزبر. فالبينات هي الآيات، والزبر هي المكتوبات. البينات قد تكون من الآفاق والأنفس. والزبر يكون باللسان واللغة.

{وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم}، إذن يوجد شيء منزل ويوجد ذكر بعد ذلك ليبين للناس ذلك المنزل إليهم من قبل. فدلّ على وجود وحي مُنزَل وبعده ذكر منزل أيضاً وهذا الثاني يبيّن به المنزل إليه للناس ما نزل إليهم. وهذا شرح للآية السابقة. لأن الآية السابقة ذكرت وجود أهل الذكر ووجود السائلين لهم عن علم الوحي. هنا شرح ذلك. وبيّن أيضاً أن وجود كتاب منزل لا يُغني عن وجود وحي حي يأتي ليبيّن للناس الذين عندهم ذلك الكتاب

المنزل ما نزل إليهم. أي لا يغني وجود كتاب الله عن وجود رسل الله. الناس في {للناس} يختلفون من عصر إلى عصر، وكلهم مفتقر إلى البيان. بالتالي لابد من أن يكون المخاطب بكاف {إليك} من قوله {أنزلنا إليك الذكر} أيضاً مختلف من عصر إلى عصر، وكلهم ينزل عليه روح من الله فيه ذكر ويبعث على الفكر. لذلك قال {لتبيّن للناس} وربطه بالذكر بقوله {أنزلنا إليك الذكر} بالتالي البيان لأنه مبني على الذكر فهو في حد ذاته ذكر، ثم قال {ولعلهم يتفكرون} وفصل بينهما بالواو ولم يقل "لتبين للناس ما نزل إليهم لعلهم يتفكرون" حتى يكون التفكر هو الغاية من الإنزال، كلا، لكنه قال {ولعلهم يتفكرون} أي بيان الذكر للناس هو غاية للإنزال، وغاية أخرى للإنزال هي تفكر الناس. فالوحي يبعث الناس على الذكر والفكر. حتى يصيروا من أولي الألباب الذين يذكرون الله ويتفكرون في الخلق. والخير كله بعد ذلك من ثمار شجرة الذكر والفكر.

فالذين يقولون "وجود القرءان بأيدينا يغنينا عن وجود رسول معاصر لنا أو رجال يستقبلون وحياً حياً من الله"، هؤلاء كفروا بالقرءان وهم لا يشعرون، فهم من أمثال الذين يقرأون القرءان والقرءان يلعنهم و"يحسبون أنهم يحسنون صنعا". هذه الآية تنسف عقيدتهم وسلوكهم الفرعوني هذا. وإلا فما معنى {لتبين للناس ما نزّل إليهم} إلا أنه يوجد شي نزل إلى الناس لكنه غير مبين لهم لهم، أو لم يعقلوه ولم يتبين لهم الحق فيه، أو حصل اختلاف ولبس عندهم كما قال في الآية قبلها عن غايات البعث "ليبين لهم الذي يختلفون فيه" وقال عيسى أنه جاء ليبين للناس بعض الذين يختلفون فيه ومعه الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء وإيتاء الحكمة مستمر إلى يوم الدين.

ثم بيّن الله الذين يكفرون برسل عصرهم ورجال الوحي في زمانهم، ومن هؤلاء الذين يزعمون أن القرءان والسنة تغنيهم عن رجال الله الأحياء فقال بعدها...

{أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون. أو يأخذهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين. أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم.}

هؤلاء اسمهم {الذين يمكرون السيئات}. وكل عملهم وتعليمهم مداره على هذا المكر بالناس. "مكر الليل والنهار" كما عبّر عنه في آية أخرى. وغرض مكرهم هذا هو تعبيد الناس وأسرهم عندهم. أما الرسل فأحرار يحررون الناس حتى يصيروا هم أيضاً من رجال النور الإلهي.

ثم ذكر أربعة عقوبات لهم على مكرهم، تكشف عن أعمالهم إذ الجزاء وفاق ومناسب للعمل.

العقوبة الأولى {يخسف الله بهم الأرض} كما فعل بقارون، ولهؤلاء حظ من اسم ومثَل قارون، وذلك من حيث أنهم يفاخرون الناس بكثرة دفاترهم وألفاظهم التي يكنزونها، ومن جهة أنك ستجدهم دائماً يظهرون على الناس والعامة بزينة خاصة حتى يرهبوهم ويجذبوا أعينهم وكأنهم من أفق أعلى من العامة، ومن جهة ثالثة سيقولون "أوتيه على علم عندي" فهم يرون العلم عندهم هم لا عند غيرهم فيطلبونه منه لذلك لا يتعلمون من الشعوب والقبائل ويتبادلون المعرفة معهم عموماً لأنهم يرون أن طريقتهم هي الطريقة المثلى وعندهم كل شيء وليس عند أحد أي شيء يستحق الطلب والمعرفة ثم إنهم لا يرون حقاً العلم عند ربهم لا يزال ويد الله مبسوطة وقد يبسطها على أحد غيرهم وغير التابعين لأسانيدهم ومؤسساتهم وطوائفهم فهم أسرع الناس كفراً وإنكاراً لكن ما هو خارج دائرتهم وعصبتهم المتعصبة بعصبية الجاهلية هذه. فمدار أمرهم على اعتبار الأرضيات دون السماويات ولا العرشيات ولا النبويات ولا الإلهيات. لذلك عقوبتهم خسف الأرض، أي هذه الاعتبارات والتفاخرات بالأرض وزينتها سيخسف الله بها الأرض وألفاظهم التي اعتقدوها لن تجد لها رسوخاً حقيقياً وبقاءً في الأرض ولو بعد حين وقطعاً لن يكون لها محل في أرض الآخرة لأنها من الدنيا وإلى الدنيا إذ إنما صنعوها من حيث يشعرون أو لا يشعرون من أجل كسب الدنيا.

العقوبة الثانية {يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون}. كما قال "يستدرجهم من حيث لا يعلمون". فهؤلاء يحسبون أنهم أحاطوا بالعلم كله، وعرفوا سبب كل خير وسبب كل شر وقُضي الأمر.

العقوبة الثالثة {يأخذهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين}. أي يحسبون أن لهم القدرة على التحكم في كل شيء، وأنهم سيطروا وهيمنوا على كل شيء وأخضعوا العباد والبلاد لهم ولطغاتهم. فكما نبههم على قصور شعورهم قبلها، فالآن يذكرهم بقصور قدرتهم، كما نبه على قصور قوتهم وغناهم وعلمهم في أول عقوبة.

العقوبة الرابعة {يأخذهم على تخوف} وهو قصور عقلهم إذ العقل يخاف من المجهول، فهؤلاء في الواقع دائماً عندهم شك في مصيرهم وما سيؤول إليه أمرهم دنيا وآخرة، فمهما أظهروا اليقين والجزم للناس وكأنهم أيقنوا بكل شيء فإنما ذلك حتى يطمئن الناس لهم، لكن في قلوبهم هم مرضى بالشك على الدوام وتعرف ذلك منهم حين تخالط أحدهم وتنفرد به ويطمئن لك ويكشف لك عن مكنونات قلبه فتجده لا يعتقد بشيء من دينه على اليقين فعلاً لكن

لديه شكوك لعله يخاف حتى من أن يصرّح بها لنفسه فضلاً عن أن يعلنها لغيره وتجد شرارات منها على فلتات لسانه وقسمات وجهه وسلوك في يومه وليله.

إذن، مدار مكر السيئات هو تأليه الذات بالباطل. والاعتقاد بالقوة الذاتية والعلم والشعور والقدرة واليقين، وإظهار ذلك للعوام حتى يخضعوا لهم ويعتقدوا فيهم نوعاً من الربوبية ووراثة الرسل ومعرفة الحقيقة الكونية المطلقة.

{فإن ربكم لرؤوف رحيم} وهو المتجلي لكم برسوله الذي هو "بالمؤمنين رؤوف رحيم". ورأفته بتعليمكم بالوحي الحي الشريعة، ورحمته بوتعليمكم بالوحي الحي الطريقة. حتى تستقيم أموركم في الدنيا والآخرة، والظاهر والباطن. طريق الذين يمكرون السيئات هو جعل دنياكم مظلمة وآخرتكم الهاوية. وكل الأفلام والمسرحيات التي يقومون بها من إظهار الزينة والقوة والكنوز والشعور المحيط والقدرة الكبيرة واليقين المطلق وما إلى ذلك، كلها كذب في كذب. فاتركوا هؤلاء وتعالوا إلى رسل ربكم ورجاله في عصركم فإنكم حينها ستجدون ربكم بكم {لرؤوف رحيم}.

الذين يمكرون السيئات سيقولون لكم "استمعوا إلى ألفاظنا"، لكن أهل الرسالات سيقولون لكم كالتالي...

{أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لله وهم داخرون. ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دآبة والملائكة وهم لا يستكبرون. يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون.}

هذا مدار أهل الذكر، أهل الله، رجال الوحي. مدارهم هو {أولم يروا}. أن ترى. تشهد. تذوق. تحضر. تدرك بنفسك. تباشر المعرفة والوجود الحقيقي.

الرؤية هي الأصل الأعظم لكل شيء. فهنا تجد الرؤية تعلّقت بمعرفة الله ومعرفة خلق الله ومعرفة مخلوقات الله السماوية والأرضية، ومعرفة فعل وشعور وصلة المخلوقات بربها وكيفية اتصال كل شيء بالله. معرفة الله، ومعرفة ملائكته، ومعرفة دوابه، ومعرفة عوالمه، ومعرفة عبادته الكونية والإرادية. هذا ما يأتي به رسل الله ورجاله، بالحق وسيقولون لكم {أولم يروا}. خلافاً للذين يمكرون السيئات الذين يدور كلامهم على "لا تسمعوا لهذا القرءان"، و"لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم"، و"ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين"، وهكذا أمورهم كلها مبنية على الحصر والكفر وسماع ألفاظ لا تحقيق بعدها وتحصيل أصوات لا واقع لها وراء اهتزازات رياحها وآثارها في خيال الذهن المريض للأسير المستعبد الحقير.

هذا هو العلم الأول وهو الأدنى، أي رؤية خلق الله العلوي والسفلي، المجرّد والمجسّد، وصلته بالله. ثم العلم الثاني وهو الأعلى الذي سيأتي به رسل الله وهو ما عبّرت عنه الآية التالية...

{وقال الله "لا تتخذوا إلهين اثنين، إنما هو إله واحد، فإيايَ فارهبون"}

هكذا سيقول لك رجال الوحي الحي قول الله لك الآن. هم يسمعون قوله تعالى ويبلغونه الناس.

المعرفة هنا تشير إلى معرفة الله في ذاته سبحانه. ومدار معرفة الله على العقل والشعور. وبهما يتم الإخلاص له سبحانه. فمعرفة الله ليست عقلية نظرية بحتة، ولا عواطف هوجاء فقط، لكن هي عقل وشعور وكلاهما سيتجلى في عمل. أما العقل تعقّل وحدة الله المطلقة. وأما الشعور فهو الرهبة. وأما العمل فإظهار هذه الوحدة والرهبة في صور مناسبة لهما. وبيان العمل في الشريعة والطريقة تفصيلاً وإن كان أصل كل تفاصيل الشريعة والطريقة هو {لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد} ففيها التوجه بالعبادة له وحده، و{فإياي فارهبون} وفيها كيفية التعامل مع مظاهر الخلق والكائنات بعدم اتخاذ أي شيء منها كمصدر للرهبة والعبادة. فالنهي الذي في الشق الأول من الآية يتعلّق بصلة العبد بما فوق الطبيعة، والأمر الذي في الشق الآخر يتعلّق بصلة العبد بما في الطبيعة. وما فوق الطبيعة أساس ما في الطبيعة. لذلك قال بعدها...

{وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون}

فلا ترهبوا شيئاً مما في السموات والأرض، لأن كل ما فيهما هو لله تعالى الإله الواحد المتعالي.

{وله الدين واصباً} الدين الإنساني الحقيقي مبني على الدين الكوني التحقيقي. ودين لا يعكس دين الطبيعة لا خير فيه وهو من مكر السيئات.

{أفغير الله تتقون} هنا شرح ل"فإياي فارهبون". فإظهار الرهبة لله وحده باتقاء الله وحده. فلا يستحق أحد من الخلق رهبة ولا اتقاء إلا الله ولا شيء من الدين له قيمة إلا الدين الراجع إلى الله والصادر منه والمخلص منه وله وهو نفس الدين الظاهر في السموات والأرض " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق". فالدين الإلهي دين طبيعي. أو إن شئت قلت، الدين الإلهي هو دين الطبيعة قبل أن يكون دين الإنسان.

مرة أخرى، لاحظ أن الرجوع في بيان الحق والدين هو دائماً إلى الكون والطبيعة والحقيقة الوجودية.

لكن أنت كإنسان أيضاً من الكون والمخلوقات، بالتالي ما ستكون عليه سيعكس شيئاً من الحق والدين كذلك. ومن هنا قال بعدها مبيناً آياته فيك يا إنسان كما بينها في الآيات السابقة عن ما سواك من الأكوان، فقال سبحانه...

{وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسّكم الضُر فإليه تجأرون. ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يُشركون.}

انظر في نفسك، ستجد أنك ما بين النعمة والضر. فالنعمة من الله لأن النعمة وجودية والوجود لله وحده. والضر عدمي وشيء يأخذك صوب العدم والنقص الذي هو إعدام لكمال ممكن، فحتى ترفع هذا العدم تحتاج إلى نور الوجود، فتسأله وتطلبه وتجري إلى مصدره وتجأر بالدعاء لمفيضه وهو الله تعالى. لكن تجد بعد ذلك الدعاء والاستجابة له فريق من الناس بربهم يشركون عبر نسبة الإيجاد إلى غير الله في الحقيقة بل ينسبونها إلى أسباب هي سراب لمن حقق الأمر ولا يجدها الإنسان شيئاً بل يجد الله عندها هو الفعال وحده في صورتها سبحانه. فهذا من مظاهر التوحيد وعدم اتخاذ إلهين اثنين فضلاً عن آلهة كثيرة.

في حالة الضر والفقر وعجز الأسباب الكونية عن توفير ما يريده الإنسان له، حينها ستظهر فطرته الأَصلية ودينه القيم الكامن فيه فيجري إلى ربه ويجأر إليه بالدعاء والسؤال. الولي هو الذي في فقره وغناه، في ضره ونفعه، في خيره وشره، وفي كل حالاته لا يرى إلا الله ولا يسأل إلا إياه ولا يرى فعالاً سواه. وهؤلاء هم رجال الله.

...

من آيات النار النورانية

(يوم نقول لجهنم هل امتلأتِ وتقول هل من مزيد)

(يوم) حالة النفس، كما قال "يوماً عبوساً" والنفس هي التي يصيبها العبوس، وقال "كل يوم هو في شأن" فالأيام تعبير عن شؤون الذات.

(يوم نقول) الله حين يتجلى باسم القائل فيتكلم مع النفس المستقبلة للقرءان، هذه النفس اسمها هنا (جهنم)، فكلام الله للنفس الموسوية يصدر من النار فتتحول النفس بالتناسب إلى نار، ولأن عكس جهنم هو منهج مثل عكس روح حور، فالروح تنزل والحور حين تأخذ الروح النازلة

وتصعد بها، كذلك منهج الله ينزل في كلامه فحين تأخذه وتعرج به كالنار المتحركة صوب السماء تصبح جهنم. من هنا عبّر عن حالة هذه النفس القرءانية فقال..

(هل امتلأتِ) فالله يتكلم مع هذه النفس الجهنمية، وكلامه معها سؤال وجواب وهو "كلم الله موسى تكليما"، فتدخل في علاقة جدلية عقلية مع ربك. وهو طريق العلم. ثم امتلأت من ماذا؟ من القول الإلهي، (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) فنفس وجدان روح وجمال اتصال الله بنفسك سيجعلك تشعر بالنعيم المقيم العظيم، والله يسألك (هل امتلأتِ) فتجيب النفس (هل من مزيد).

لماذا (هل من مزيد)؟ كما قال "لا تعجل بالقرءان من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما". فدائماً تريد المزيد من قوله تعالى وكلمته العليا. لا تمتلىء النفس المستنيرة بنار كلام الله، لا تمتلىء من العلم بل دائماً تريد المزيد.

يقال في الرواية أن جهنم ستمتلىء حين يضع الجبار قدمه فيها. المعنى؟ الجبار هو الذي يجبر النقص فيتم الشيء. القدم من القديم وهو ضد الحادث. الله قديم بذاته وحديث بخلقه. العلم اللانهائي يتعلق بالمحدثات، وهي مثل سلسلة العدد لانهاية لها لذلك "هل من مزيد". وأما معرفة الذات القديمة المتعالية فيجعل النفس العالِمة تقول "قط قط" لأن معرفته ذات وحدة فلا مزيد عليها.

...

{كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين. في جنّات يتساءلون. عن المجرمين. ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين.}

{كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين}

النفس الفانية في الله غير النفس المتخيلة لوجودها الشخصي المستقل عن الله. النفس الفانية هي التي في سقر بحسب هذه الآيات، والنفس الفرعونية هي المعبّر عنها بأصحاب اليمين.

اليمين ضد الشمال. فأصحاب اليمين هم الذين لم يزالوا في الثنائية والكثرة. هؤلاء لا يرتهنون بما كسبوا، لأن كسبهم باطل مثل تخيلهم عن أنفسهم. لكن النفوس الفانية في الله بالباقية به ترتهن بكسبها لأنه حقيقي ووجودي فهو شيء له نور، خلافاً للسراب الذي عليه أصحاب اليمين. لذلك قال عنهم...

{في جنّات يتساءلون}

في جنّات الكثرة وفقدان معرفة الوحدة. لذلك يتساءلون، فلم تزل لديهم أسئلة عن أسباب الأشياء وعلل الحوادث، فالجهل قائم فيهم بعد ولم يعرفوا أن الله تعالى هو تفسير كل شيء وهو الواحد الذي ليس لا يوجد غيره حتى يتم التساؤل عنه.

النفس التي لها صفة لابد من وجود صفة تضاد وتناقض صفتها، فتبقى حبيسة سجن الازدواجية والشرك، فانظر في موضوع تساؤلها لتعرف لذلك..

{عن المجرمين}

هم في جنّتهم ومع ذلك يتساءلون وينشغلون بضدّهم. كذلك حال النفس التي لها صفة لابد أن تبقى حبيسة التعلق بضدّها والصفة المحدودة المخالفة لها. خلافاً للعارفين الذين انمحت كل صفاتهم وبقوا بلا صفة فلا صفة لهم بالتالي لا صفة ضدهم. فهم {المجرمين} لأن الجرم هو الانقطاع، والعارف انقطع إلى الواحد الأحد تمام الانقطاع. وعبيد الصفة الذين هم أصحاب اليمين ينظرون حسداً إلى العارفين الموحدين بالحق فيقولون لهم...

{ما سلككم في سقر}

من قبيل "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين"، كذلك ربما يود أصحاب اليمين لو كانوا عارفين موحدين. والآيات تشرح لسان الحال بل ولسان مقال أصحاب اليمين من المفكرين. فيوجهون سؤالهم للعارفين الذين بلغوا بمعرفتهم مقام {سقر} التي "لا تبقي ولا تذر"، حيث لم يبقَى شيء من صفاتهم ووجودهم الشخصي المنفصل عن الواحد الأحد. فيسألونهم {ما سلككم} أي دلّونا على الطريقة التي سلكتموها فأنتم أهل الطريقة والعرفان، {ما سلككم في سقر} كيف بلغتم الفناء فيه تعالى وحصلتم على المعرفة بالوحدة المطلقة له؟ والآن جواب العارفين المتألهين المبيّن للطريق إلى الفناء في الله والبقاء به...

الطريق قائم على أربعة أركان وله غاية واحدة. أما غايته فهي اليقين، والأركان الأربعة هي العبادة، وقد قال الله "اعبد ربّك حتى يأتيك اليقين"، أي العبادة هي الطريق والسبب الذي يوصلك إلى اليقين أي السر الذي هو سقر.

الركن الأول {قالوا لم نكُ من المصلّين}. الصلاة لمن يعتقد انفصاله عن الله. ونحن لم نصلي لأننا لسنا غيره، ولا شيء غيره يوصل به. "ويل للمصلين".

الركن الثاني {ولم نكُ نطعم المسكين}، إذا رأينا المسكين الذي هو الفاني في الله الساكن به في عين ذاته الشاهد بأحديته أحديته، إذا رأيناه كنّا لا نطعمه لا كلاماً يشوش عقله ولا نسعى لتغيير الفراغ من الكون الذي هو فيه، بالتالي حمينا أنفسنا من إيذاء أولياء الله والاعتقاد بأننا نملك القدرة على تغيير أحوال خلق الله.

الركن الثالث {وكنّا نخوض مع الخائضين}، وهم العرفاء، كأبي يزيد الذي قال "خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله"، فكنّا نخوض مع العارفين الذين خاضوا بحر الأحدية المطلقة ولم نخف ونبقى مع الذين يخبرون عن الوجود بالألفاظ بل خضنا مع أصحاب العلم الحضوري والذوق الوجداني في العين الإلهية. صحبة الأولياء ولاية.

الركن الرابع {وكنّا نكذّب بيوم الدين}، لأننا لا ننظر لا إلى ماضي بالتالي لا ننتظر أي مستقبل، ويوم الدين مستقبل زماني فنحن نكذّب بكل ما سوى الوقت الحاضر "الصوفي ابن الوقت". ولأن يوم الدين مبني على المجازاة على الأعمال، فبما أن الفعل كله لله وحده إذ لا فاعل إلا الله "والله خلقكم وما تعملون"، "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم"، "يعذبهم الله بأيديكم". فحيث لا فعل إلا لله فنحن نكذّب بيوم الدين المبني على إنكار فعل الله وإحاطة فعله وأحدية فعله. وبذلك صرنا ننظر الآن فقط وننظر في فعل الله بنا وفي كل شيء.

فلمّا آمنا بالوحدة الذاتية المطلقة لله لم نُصلّي. ولمّا شهدنا كمال العرفاء لم نُطعم. ولمّا ذقنا فيضان النور بصحبة الأولياء خضنا. ولمّا قمنا في الوقت الحاضر ونظرنا إلى فعله تعالى وحده كذّبنا. فكان جزاء سلوكنا هذا بلوغنا مقام الفناء {حتى آتانا اليقين} وصار أمرنا كله يقين تام. واليقين من يقن أي استقر الشيء وثبت، كذلك نحن ثبتنا في الوحدة المطلقة واستقرّت عيننا في عينه الأحدية.

تعليقات وردتني بعد ما شرحت ما سبق لصاحبي بعد كتابته:
١-عن {لم نك من المصلّين} أشار صاحبي إلى أن المصلّي في اللغة هو الثاني في سباق الخيل، فالمصلّي صاحب اثنينية وليس صاحب وحدة وهو مما يعزز ما ذكرناه. فقلت أن الفرق بين العارف وصاحب اليمين أن العارف مجلّي وصاحب اليمين مصلّي.

٢-{كنا نخوض مع الخائضين}، خطر لي مثل الخادمة التي تدخل كل مكان يحتاج إلى اشتراك للعضوية لكنها تدخله مجاناً فقط لأنها خادمة تابعة لعائلة عندها عضوية النادي. كذلك هنا، {الخائضين} هم الذين صحّ لهم اسم الخوض أي بلوغ مقام الفناء، لكن هؤلاء يفعلون الخوض "نخوض" بالتالي هم في درجة الفعل لم يبلغوا درجة الاسم بعد، فهم أنزل درجة، ومع ذلك معيتهم للخائضين بحر الأحدية والفناء جعلتهم في طريق اليقين. فخادم الولي ولي إذ هو تابع له بالخدمة المجانية له فيُعامَل مثله عند الله كما قال الخليل "من تبعني فإنه مني" فمن تبع الخليل فهو من الخليل فهو خليل بل هو الخليل إذ لا تنقسم الوحدة إلى أجزاء "فادخلي في عبدي".

...

الكلام الذي ظاهره دين وباطنه دين خير من الكلام الذي ظاهره دنيا وباطنه دين. "قل هو الله أحد".

...

الولي يأمرك بموضوع ما. العبرة ليست بالموضوع لكن بأمره لك عن الله، فإذا قبلت أمره وسلّمت له فلعل الله يغنيك ويعفيك حتى من العمل بالأمر ذاته والولي ذاته سيعفيك من تطبيق الأمر بعد ذلك بوجود ما هو أيسر منه لكن بشرط القبول والتسليم. إرادة الولي إرادة الولي سبحانه، فافهم.

...

العوالم أغاني.

يعني الفرق بين العالم العربي والعالم التركي والعالم الانجليزي وهكذا بقية العوالم بل كل البلدان وكل المقاطعات داخل كل بلد ذات صفة مختلفة عن الأخرى، هذه العوالم كلها، يتحدد الفرق بينها أبرز تحديد عبر الأغاني، الموسيقى، النغمات التي يسمعونها ويطلقونها. لذلك إذا استمعت إلى أغنية فقد دخلت عالم أهلها. فانظر مدى تقبّلك للعوالم عبر مدى تقبّلك لأغانيهم.

...

الأذكار الخمسة: بسم الله، سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر

{بسم الله} مركز البيت. هو ذكر الروح الأعلى، وذكر محمد في أولي العزم، ويتجلى في الأثير من عناصر الطبيعة.

{سبحان الله} الركن الأول لبيت الله. هو ذكر جبرائيل، وذكر نوح في أولي العزم، ويتجلى في الهواء من عناصر الطبيعة.

{الحمد لله} الركن الثاني للبيت. هو ذكر إسرافيل، وذكر إبراهيم في الرسل، ويتجلى في الماء.

{لا إله إلا الله} الركن الثالث. ذكر ميكائيل، وذكر موسى، ويتجلى في النار.

{الله أكبر} الركن الرابع. ذكر عزرائيل، وذكر عيسى، ويتجلى في التراب.

...

أرسل لي صاحبي خبر انضمام شامانات لتعليم الأثرياء في دافوس سويسرا عن الفِطر وأشباهه من المواد الفاتحة للوعي وكتب لي تحته "السلام راح يعم العالم".

فقلت: الله الله. طريق السلام الوصول إلى الفطرة. والوصول إلى الفطرة إما بوسيلة روحية كالذكر وإما بوسيلة طبيعية كالفطر. وهذا الخبر يكشف انفتاح باب الفطرة على مصراعية في هذا العصر. فالحمد لله.

...

أرسل لي صاحب مقالة وهي هذه:

"ونفختُ فيه من روحي"

سألني بعض أحبابي عن معنى قوله تعالى: "من روحي"، فأجبتُه أنني راجعت ما تيسر من كتب التفاسير فلم أجد فيها ما يبل الأوام ويشفي الغليل.

وسبب ذلك - فيما يبدو - إعمالهم علم الكلام الذي له لوازم متعبة، وهو علم كما كررنا أعجمي النجارة، وإسقاطه على القرآن غير حميد.

لم يكن العرب الأوائل يشقشقون الكلام بهذا العلم المنتزع من مراطنة العجم ولا مناقلات أهل الجدل، لقد كانوا عربا أقحاحا يلقون الكلام بمعهودهم ويستوعبونه بمعهودهم لا بمعهود أرسطوطاليس ولا معهود النظام ولا الأشعري ولا الآمدي.

وقد كنت أتمنى من ابن عاشور أن يحرر هذا الموضع من أعباء هذا العلم الأعجمي على عادته في تخليص التفسير وتحريره منه غير أنه لم يفعل في هذا الموضع.

والذي أراه أنه تعبير خرج مخرج الكناية عن الحب الشديد والإتقان كما تقول عن أمر صنعته بيدك عن حب: (صنعته بقلبي) أو (فعلت كذا من روحي) أو (تركت فيه أنفاسي) أو (أودعته

وجداني) .. وتريد بذلك أنك أتقفتَه وأحسنته وأتممته وتركت فيه شخصيتك ولم تدخر في تجويده جهدا ، لأنك فعلت ذلك بيد الحب. وهذا المعنى يدركه المتكلم باللسان العربي دون تكلف.

ويشهد لذلك قوله تعالى لإبليس: "ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيديّ". ويشهد له أن الملائكة راجعته في أمر آدم أول الأمر فأراد الله أن يبيّن لهم أن الأمر مرده إلى الحب لا التسبيح ولا التنزيه.

ويشهد له أيضا الفاء السببية التي وردت في سياق الآية نفسها: "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين"، فالفاء رتّبت ما بعدها وهو الأمر بالسجود على ما قبلها وهو النفخ من الروح، والمعنى: اسجدوا لمن خلقته بيدي وأحببته.

والله أعلم

كتبـه : سلطان الكامل

فقلت :

حبيبي محمد
شكراً على هذه الرسالة والفرصة للتعليق عليها.

١-علم الكلام والفلسفة مبني على العقل. والعقل موجود خلقه الله. بالتالي ما ينبني على العقل أيضاً من كتاب الله التكويني. فلا هو أعجمي النجارة ولا عربي الرعي لكنه رباني الخِلقة وله حقيقة إلهية. لا عنصرية في العلوم.

٢-كتب التفاسير التي لم تشفي غليل الكاتب المحترم، لا أدري إلى أي تفاسير رجع لكن في كتب التفاسير ما يشفي من عرف كيفية أخذ المعنى منها. ويستطيع أن يرجع الى كتب التفسير الصوفية تحديداً ليجد العمق المطلوب لأنهم أهل الروح بامتياز. مثل كتب ابن عربي أو الرومي. أو حتى تفسير البقلي وابن عجيبة والقشيري.

٣-أما الموضع الأهم وهو تفسيره برأيه أن "من روحي" هي (كناية عن الحب الشديد والإتقان) فتلغي دقة القرءان وفيه ضبابية عاطفية زائدة. فالله أتقن كل شي ولم يتقن آدم فقط، فلا

خصوصية لآدم إذن من جهة الإتقان. والحب الشديد لا أدري ماذا يعني به هنا، ولم أجد شاهداً من القرءان على أن نفخ الروح هو الحب الشديد. فقد قال مثلاً "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" فهي أوحى إليه الحب الشديد فقط؟ وقال "يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي" فهل سألوه عن الحب الشديد والإتقان؟

٤-فكرة الإتيان بتفسير متكلف ثم القول بأن "العربي يفهم كذا بدون تكلف" هو مجرد مصادرة على المطلوب، يعني محاولة تهرب من النظر في المعنى الحقيقي والدقيق لكلام الله المتقن الدلالة.

٥-"خلقتُ بيدي" مثل مسألة الروح. فهي أيضاً عبارة خاصة ولم يقصد بها "خلقته بيدي وأحببته" الذي قاله لأنه لم يفعل أكثر من تكرار الجملة مع إضافة كلمة "وأحببته" بعدها. وهذا لا يقدم ولا يؤخر في فهم معنى "خلقت بيدي". ويبقى عليه واجب إثبات إضافته لكلمة ومفهوم "وأحببته".

٦-أما ما فهمته من الآية أو بعض ما فهمته هو التالي:
كل مخلوق في العالم له مستواه الخاص. فالنبات نبات فقط والملائكة ملائكة فقط. فكل موجود محصور درجته. "وما منا إلا له مقام معلوم".
لكن آدم اختُص بأن فيه مجموع العوالم كلها، وهو بنفسه يوازي الآفاق كلها. ففيه من الأفق الأدنى الذي هو الطين الأرضي، وفيه من الأفق الأوسط النفسي السماوي. وفيه من الأفق الأعلى الروحي العرشي. وخلقه الله بيديه الذين هما الملك والملكوت "تبارك الذي بيده الملك" و "سبحان الذي بيده ملكوت". فآدم ظاهره ملك وباطنه ملكوت. وليس كالموجودات المحصورة إما بكونها ملكاً إو ملكوتاً.
فنفخ الروح هو المستوى الثالث الأعلى لآدم لذلك "بشرا من طين/ فإذا سويته (ونفس وما سواها) / ونفخت فيه من روحي". فلما كمل قال بهم "فقعوا له ساجدين". لأنه صار خليفة الله، فكما أن الله بكل شيء محيط وهو الظاهر والباطن، كذلك آدم صار وجوده محيطاً بكل شيء وجمع الظاهر والباطن.
الجسم كثيف له شكل، النفس لطيفة ولها شكل من حيث خيالها ولا شكل لها من حيث شعورها فهي جامعة بين التجسيد الخيالي والتجريد الشعوري، والروح عقل مفكر مجرد لا شكل له مطلقاً. فجمع الثلاثة. شكل مطلق، وتجريد مطلق، وما بينهما مستوى النفس المجسد المجرد.

لذلك قال "الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" فالروح علم، كتاب، إيمان، نور. وهو من أمر ربه لا أمر الخلق، فله صلة بعلو الربوبية.

...

قال: سلام سلطان تغير لون شعرك فماذا عن لون اشعارك؟ دمت بسلام

قلت: وعليكم السلام مرحبا أشعاري من ربي لا من نفسي كما أن شعري من ربي لا من نفسي

...

قالت: ليش موسى ربي رسله لفرعون. هل في شخص يضيع عمره عشان يساعد ناس ثانيين؟ وكيف تعرف إذا أنت نبي او رسول جاي؟ عشان لا تصير زي يونس؟ وكيف تعرف أنك من اتباع محمد وتنفر بدينك من الاذية؟

قلت: مثل ما خلق الدواء للداء، خلق موسى لفرعون. الرسول ينفق عمره لله وليس للناس. يعرف الرسول بالآيات. أتباع محمد هم أهل القرءان.

...

قال: أبغي أعرف وجهة نظرك عن بداية الاية لين ٨٧ (يقصد "وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين") الي انا فهمته ان ذا النون ذهب مغاضبا لربه وظلم نفسه.

قلت: الرسول من جهة روحه معتاد على ان يقول كن فيكون. فلما نزل يونس للبشر وقال لهم كلمة الله فلم يؤمنوا به فوراً قرر تركهم والذهاب بعيداً عنهم وتخلى عن رسالته. وظن أن الله سيتركه يعيش بسلام. لكن لا. هو رسول ويجب أن يحيا كرسول أو يموت كرسول لكن لا مخرج له لأنه وافق على تحمل مسؤولية الرسالة أو حتى فرضها الله عليه ولا حل أمامه غير قبولها. (وذا النون) لأن فيه نور "ن والقلم وما يسطرون". نور كلام الله. (إذ ذهب) وترك رسالته بسبب أنه كان (مغاضباً) لقومه. فجعل عاطفته تغلب عقله، وردود الآخرين فوق تكليف رب العالمين. (فظن إن لن نقدر عليه) من التقدير من "قدر عليه رزقه". (فنادى في الظلمات) فقومه كانوا في الظلمات وهو تركهم لأنه عضب، فالآن سيجعله يذوق نفس ما فعله وما يعانيه قومه. (أن لا إله إلا أنت) يعني أنا لست إلهاً ولن أحكم نفسي وبنفسي وأقرر برأيي ما يستحقه غيري. سأتبع أمرك لا عاطفتي، وأمرك هو أمر روحي وذاتي أيضاً. (سبحانك) فالخلق يتغيرون لكن أنت مُنزّه عن التغيرات. (إني كنت) لكني الآن تغيرت. (من الظالمين) فكل فعل سيجعلك تكتسب اسماً. والآن أنا من المرسلين لا الظالمين. فتب عليَّ واقبلني من جديد.

قال: يسلام قرأت تفاسير كثيرة وحسيتها غير منطقية لكن تفسيرك اعجبني للأمانة. وعلى طاري التفاسير بحكم تجربتك الشخص اذا قرأ القرآن وقرا تفسيرات و ما ارتاح لها قلبه وعقله ! يسمع لمين ؟
قلت: يسمع لي (وضحكك)
ضحك وقال: انا ما احب استمع لشخص واحد فقط ومنظور واحد ورأي واحد لازم ابحر.
قلت: اذا تبغا تبحر، لازم تتقبل كل الوسخ والحيتان الي حتشوفهم. واحياناً في شخص واحد لكن داخله كل الاشخاص.
قال: انا داخلي كل الاشخاص ، وبديت الرحلة بعد الحادي ثلاث سنين ، والوسخ يزعل لكن ابغى اشوف الحكمة ، وكنت في بطن الحوت
قلت: موفق
قال: وصلت لقناعة مع اني ادرس علم نفس ان لا معنى بدون ايمان ولا سعادة ولا صحة نفسية. لكن للامانة ما زلت جاهل مرة والجهل وقلة المعلومات مسبب لي ازمة.
قلت: "قل رب زدني علما"

...

قالت: انشاء الله تكون بخير ، الفطر من تجربة هل تنصح يكون مع مجموعة او على انفراد ؟
قلت: ممكن في البداية التجربة مع شخص واحد او شخصين بالكثير من العاقلين الموثوق فيهم او المجربين من قبلك أحسن. بعدها ممكن الواحد يجربه لحاله. بس عموماً الفطر يجب أن يؤخذ بنية الحج، وليس للتسلية ولا للتجربة الفضولية. ولابد أيضاً أن لا تفكري في "اه انل اخدت فطر حيصرلي الان شي رهيب". لا. انسي انك اكلتيه، واقضي يومك في التأمل والقرءان ونحوه بغض النظر عن الفطر. الفطر مثل الفيتامينات للعقل ومو وجبة بديلة عن الغذاء الحقيقي الي هو القرءان. نقطة خطيرة جداً الفطر يجب أن يؤخذ في مكان آمن، والافضل في اول النهار وأنت نشيطة ومركزة ومصحصحة. واشربي سوائل كتير، وجهزي أكل خفيف نباتي حتى تاكليه بعد رحلتك. والأفضل برضو تكوني في مكان جميل، مثل الطبيعة. لكن طبيعة آمنة مافيها حيوانات وحشرات مزعجة لكي. أو بيت واسع وفيه حولك فرش مريح وجميل.

...

قال: البارحة رأيت مناما أرسلت لي فيه رسالتين كانتا كالتالي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ماذا تريد من العلم(اي الذي اتعلمه منك وكيف سأتصرف معه وماذا أريد ان أتعلم منك كجديد(هذا مافهمته منه في منامي))؟ ففرحت نفسي بهذا السؤال وكنت متحمسا للاجابة

فلما أبدأ كتابة الرد يأتي شيء يشوش علي وكأنما يأخذني من يدي ويذهب بي ليلهيني ثم أعود بعد ذلك لأحاول الرد عليك من جديد. ما رأيك في هذا أخي عداس.

قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. مرحبا أخي يونس. رأيي أن تجيب عن السؤال.

قال: يعني ان اجيب عليه في نفسي

قلت: ممكن وممكن تخبرني بجوابك

قال: سأفكر ان شاء الله واجيبك. وبارك الله فيك ونفعنا بك.

قلت: موفق

ثم قال: اخي عداس ان شاء الله يكون الجواب على السؤال كالتالي: الغاية من هذا العلم هو معرفة الحق سبحانه وذلك من خلال دراسة القرءان فأنا لم أكن أرى حقيقة القرآن وجوهره وكنت اقول ان القرآن لم ينزل ليقرأ بهاته الطريقة بدون فهم ولا دراسة، حتى فتح الله لي بمعرفتك ورأيت الحقيقة بفضله عز وجل وأرجو من الله أن يوفقني لدراسة القرءان بالطريقة التي تجعله حيا صالحا لكل زمان ثم نصرته بتعليمه ونقله ان شاء الله"خيركم من تعلم القرآن وعلمه".دعواتك لي بالتوفيق يا سيدي. وهناك موضوع آخر يؤرقني يا شيخي الفضيل ألا وهو موضوع الشهوة الجنسية وكيفية التعامل معه بالنسبة لدارس القرآن:فقد قرأت لك عن طريقة الاحتلام والحجامة وطريق اللذة وكذلك الطريقة الخاصة براس بوتين في التعامل مع الشهوات ،وكما تقول الكبت خطير أيضا فكيف أتعامل مع هذا الموضوع بطريقة مرضية لله عز وجل وأجد فيها راحتي.

فقلت: الله يفتح لك حبيبنا يونس ويزيدك. أنت فين عايش وكم عمرك وهل تشتغل شي؟ وما مدى استقلالك المعيشي عن أهلك ؟

قال: أنا أعيش في الجزائر وطالب بمدرسة عليا لعلوم الحاسب خارج ولايتي وأما من ناحية الاستقلال المعيش فلازلت تابعا لاهلي

قلت: الأفضل يكون عندك صاحبة ولا تبقى أعزب. إن حبيت أدعيلك الله يرسلك صاحبة تناسبك حتى تتزوجها فعلت إن شاء الله، وإن كنت ما تقدر تتزوج رسمياً وتحب يرسلك امرأة مستقلة بنفسها وكنت أنت عندك استقلاليتك ولا تبالي بالأعراف الرسمية فعلت إن شاء الله أيضاً. لكن الطريق إما صاحبة وإما لا تفعل شيء جنسي وتصوم عن التحدث في الجنس وتنشغل بدراستك وعملك وتسعى لتثبت على هذا الموقف ومهما سقطت على الأرض بمخالفته فتنهض وتتوب وتجدد توبتك بلا عدد والله يغفر لك وتعزم على عدم العودة. الأفضل صاحبة. مستقلة بنفسها وبينك وبينها علاقة خاصة والله هو سيرسلك هي وهو شاهد عليكم ولا تهتم بشيء

آخر. لكن لا تجيب أولاد وخذ حذرك إلا بعد ما تستقر وتستقل معيشيا لتفتح بيتك بنفسك معها. الاختيار عندك: صاحبة أو صبر. اختر وسأدعو ربي لك ليعينك بفضله.
قال: تقصد ان استعين بوجود صاحبة والابتعاد عن كل ما له علاقة بالجنس كالاستمناء والاباحية. قرات لك في كتاب:إثبات شرعية ومنفعة وضرورة الدعارة المنظمة بجواز الجنس اذا كان فيه قبول الطرفين وهذا كما تعرف عرف بانه زنا عند العامة .ماهو رايك في الزنا التي ذكرت في القران في مواضع كثر وهل هي الجماع العلني كما قال الدكتور شحرور?اما من ناحية الدعاء فاستخر وادع الله بما هي خير لي واخبرني ان سمحت وجزاك الله عني خيرا
قلت: نعم (عن الاستعانة). تنظيم الزواج مبني على حفظ حقوق مال ونسب الولد. فاذا كنت لا انت ولا هي تريدون اموال من بعض، وما حيكون بينكم اولاد، فلا داعي جوهري للتنظيم الرسمي للزواج. اصل الزواج كله رضا الطرفين. الباقي اثبات لهذا الرضا والحقوق كما ذكرت لك. وللانسان الحق في التنازل عن حقه. بالتالي اذا كنت في علاقة مبنية على الرضا وليس فيها مال ولا ولد، الى ان يتيسر امرك، وكانت نيتك الصحبة والتحرر للقيام بالطريقة فالله يوفقك ويفتح لك.
قال: شكرا لتوضيحك
قلت: العفو

...
(إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله)

الله من حيث تعاليه لا يعرفه إلا الخاصة. لكن العامة يعرفونه من حيث تجليه. الرسول في كل عصر هو تجلي الله للعامة.

قد يكره الرسول في بداية أمره تعلق الناس به كتجلي لله. لأنه يريد منهم أن يعرفوا الله في تعاليه كما يعرفه هو. لكن حين لا يجدهم يعقلون التجريد قد يكره ذلك منهم ويُعرِض عنهم على أنهم من الغافلين. وهذا خطأ وإن كان أصله نية صالحة بل مبدأ سليم وهو التعامل مع كل إنسان كرسول في ذاته لأنه حامل فطرة الله والدين القيّم في نفسه.

كما يخلق الله الأزهار في الأرض في كل عصر ويجعل فيها الرحيق الذي هو غذاء النحل، كذلك يبعث الله الأحرار في المجتمع في كل عصر ويجعل فيهم كلمته الذي هو طعام أهل

العقل. من هنا قال النبي عن علي "يعسوب المؤمنين" أي أمير النحل فجعل المؤمنين نحلاً. الرسل أزهار، المؤمنون بهم نحل، والله رب الجسم والعقل.

لو كان كل الناس يعرفون الله في تعاليه لما بعث الله الرسل. فبعثة رسول تعني رحمة لمن لا يستطيع أو لا يريد أن يعرف الله إلا في تجلي خاص مناسب لهم. لذلك قال الله للرسول حتى لا يخشى من إظهار نفسه على حقيقته وهي أنه تجلي الله رحمة بالمؤمنين فقال (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله).

انظر في نفسك. إن كنت تسمع كلام الله منه فعهدك بينك وبينه مباشرة. لكن إن كنت لا تسمع كلام الله الحي منه الآن فالآية إرشاد لك، لأن بيعة الرسول هي عهد بينك وبين الله بوسيلة الرسول. فماذا عن مَن لا عهد ولا بيعة عنده؟ هذا آيته "ومَن يُضلل الله فلن تجد له ولياً مُرشدا".

...

النمط الأوسط للوعي،
هو أحسن نمط.

النمط الأوسط للوعي،
هو الذي تكون عليه في أيامك العادية،
حين لا يوجد ألم في بدنك،
ولا غم في ذهنك،
وحين لا تأكل شيئاً يغيّر عقلك،
لا رفعاً ولا خفضاً،
ولا تأكل وتفعل شيئاً يغيّر مزاجك،
لا بسطاً ولا قبضاً،
نمط وعيك العادي هو إن شعرت،
وعي غير عادي،
هو جميل ولذة ذاتية،
نشوة بالوجود،
معجزة.

العادي غير عادي،
والمُمل باطنه نعيم مُقيم،
هذا ما يذوقه المتأمل،
في النمط الأوسط للوعي.
...
قال إبليس
(رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين)

أخبرنا الله أن الشيطان لنا عدو "فاتخذوه عدوا". وهنا كشف لنا عداوته وكيفيتها.

(ربِّ) فإبليس ليس ملحداً، لكنه يؤمن بربه ويستمد منه. مما يعني أنه قد يظهر جنود إبليس في صورة متدينيين بل ومتشددين في تدينهم.

(بما أغويتني) فنسب الإغواء لربه، ولم ينسبه لنفسه. فإبليس يرتكب الخطأ ويقول أن الله هو الذي أخطأ أو جعله يخطىء ولا يتحمّل مسؤولية اختياراته. ثم الغواية هنا كانت بكونه مخلوقاً من نار واعتقاده أن النار خير من الطين، فالمعنى هو أن إبليس يبني الفضل على الماديات والجسمانيات والبُعد الظاهري للوجود.

(لأزينن لهم في الأرض) حتى ينظروا فقط للأرضيات وينسوا ويرفضوا السماويات. فيصبح همّ الواحد فقط إظهار أنه يملك جسماً أو مالاً أو قوة مادية أعلى من الآخرين وهو العلو في الأرض "تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض".

(ولأغوينهم أجميعن.) الغواية فيها معاني الضلال ووصف الشيء بغير حقيقته والكثرة من الناس والشبع من اللبن. كل هذا حق. فالغواية ستكون بجعل أكثر الناس يضلّون عن المعرفة الحقيقية عبر جعل كل همهم الشبع من المواد الجسمانية.

الحاصل: إذا أردت هزيمة عدوك الشيطان، فليكن همّك من المادة ما تستعمله فعلاً بنحو معتدل ونظيف لكي تتفرغ لتعلم المعرفة الإلهية والنبوية. وتعاون مع الناس في الماديات وأعطي الكل مجاناً ما ينفتح بك من الكلمات النورانية.
...

أنا أخاف من حقيقة أني لا أخاف،
أتعلق ببعض الناس بقوة لأني أعلم أني قد لا أبالي بأحد،
أخطط كثيراً لأني في قلبي لا أخطط ولا أُدبِّر لشيء،
أتكلم على مدار اليوم لأني صامت لم أنطق بحرف منذ أكثر من خمس عشرة سنة.

...

العالم الخارجي مخلوق بكلمة الله "كن"،
عالمك أنت الداخلي تخلقه بإذن الله بذكر الله.

ب(بسم الله) تخلق الأثير، المكان، ساحة النور في نفسك. الباء فتح للفم وفتح للكون، فتح المكان. والاسم يجعلك مكانك سامياً وإلهياً. وتُغذّي الروح ومحمد.

ب(سبحان الله) تخلق الماء، العنصر اللطيف البسيط، تخلق الوعي في نفسك. الوعي المُنَزَّه عن كدر الصفات الجزئية المتضادة. وتُغذّي جبرائيل ونوح.

ب(الحمد لله) تخلق الهواء، العنصر الحيوي الخفي، تخلق الشعور في نفسك. وتتجسد فيك الأخلاق الحسنة. وتُغذّي إسرافيل وإبراهيم.

ب(لا إلا إلا الله) تخلق التراب، العنصر الأصلي الثابت، تخلق الفكر في نفسك. وتفصل بين الحق والوهم. وتُغذّي ميكائيل وموسى.

ب(الله أكبر) تخلق النار، العنصر الصاعد المُحرر، تخلق الإرادة في نفسك. وتكسر كل ما يقف أمامك. وتُغذّي عزرائيل وعيسى.

كل ذكر تقوم به في نفسك هو قوة تغيّر بها الكون وتؤثر فيه. انظر إلى رمية حجر في بحيرة كبيرة، من وقوعها على نقطة منها تخرج دوائر تأثيرها حتى تملأ البحيرة بحسب قوتها. كذلك الذاكر، يذكر في نفسه لكن هو قطرة من بحيرة الكون فيصل تأثير نوره للكل. والحق يغلب الباطل، كذلك نور الذكر يغلب ظلمة الغفلة.

...

(نساؤكم حرثٌ لكم ، فأتوا حرثكم أنّى شئتم ، وقدّموا لأنفسكم ، واتقوا الله ، واعلموا أنكم مُلاقوه ، وبشّر المؤمنين)

(نساؤكم حرث لكم) الرجل عقل، العقل فياض بالنور، الفيض يفتقر لقابل يُفاض عليه، ودرجة القابل تحت درجة المفيض من حيث استقباله، لذلك قال (نساؤكم) أي النفوس القابلة لكلامكم. (حرث) جنة تزرعونها برحمتكم وعلمكم. (لكم) حتى تشهدوا النور خارج عقولكم كما شهدتموه داخل عقولكم.

(فأتوا حرثكم أنى شئتم) فوّض الحق ذلك لمشيئة العقل. فبعد أن تعرف قصدك من الفيض ستعرف كيف ومتى تتكلم. فلا عقل سليم يريد نفساً خبيثة تكون مرآة تعكسه، بل يريد مرآة صافية مستوية حتى يرى فيها وجهه.

(وقدّموا لأنفسكم) عقلك ونفسك هما الرجل والمرأة في ذاتك. (قدّموا) من التقديم يعني هيء لنفسك جنة عظيمة. وكذلك من المقدمات بمعنى لا تعطي الفكرة غير مشروحة ولا الكلمة المبهمة بل مهَد بيانك بمقدمات متدرجة ووسائل إثارة رغبة المعرفة في النفس مثل مقدمة "هل أتاك حديث موسى".

(واتقوا الله) فلا تعتقدوا الألوهية لعقولكم بل ابحثوا عن الحق واخضعوا له.

(واعلموا أنكم مُلاقوه) ستلاقي الله في جنتك، في نسائك، في حرثك. عملية الفيض ذاتها ستجعلك تشهد الله في عقلك الفاعل الذي هو خليفة ربك وكذلك ستشهده في نفسك القابلة لأنها انعكاس قبول ذات الله لكل موجود وإحاطته بكل شيء وكونه الرحمن الذي وسع رحم رحمته الكون ظاهراً وباطناً. فالنكاح صلاة.

(وبشّر المؤمنين) الذين يعلمون هذا الأمر، ويرونه في الآفاق وفي أنفسهم. ولا يشغلهم التلذذ بالتعليم والاجتماع عن ذكر الله ولقائه في عملهم وفي ذواتهم.

...

الوعي ثابت متغير،
في تغيره ثابت،
وفي ثباته متغير.
هو متغيّر يُغيّر غيره بدون تغيّر ذاته.

مراقبة الوجود علم،
مراقبة ذاتك حياة.

راقب نفسك واعرف خواطرك،
لكل خاطر جذور وشبكة معاني وتصورات،
وعيك وراء الشبكة،
وعيك عنكبوت يعرف خيوط المُلك والملكوت،
ومن أي نقطة وفكرة يستطيع الوصول لكل النقاط.

تطهير فكرك أصل طهارة نفسك،
التطهير يحتاج إلى ماء والماء هو مراقبتك.
راقب بدون أن تترك الفكرة تصنعك،
بل أنت احكمها وحاكمها.
العقل المقدس يتعامل مع الفكر المُنَجَّس،
لكنه يبقى متقدساً لا يتنجس.

من هنا قال الفقهاء"الماء طاهر مطهر"،
العقل الحر الفطري هو الماء،
وهذا العقل طاهر فكل ما ينتجه من فكر حق،
وهو مُطهر لغيره فكل ما ينظر فيه يصبح حقاً.

ومن هنا قال أهل الزِن،
"بودا هو ممسحة فضلات ناشفة".
بودا هو العقل المستنير وليس شخصاً محدداً،
عمله تنظيف العقول المتسخة بفضلات الدنيا،
لكنه ناشف لأنه متجرد يغيّر غيره بدون تغيَر ذاته.

قال الحق لإبراهيم وإسماعيل "طهّرا بيتي"،
لابد من الاتصال بالنجاسة لتطهيرها،
فلو تنجّس المُطهِّر نفسه فمَن سيطهره ؟

لابد من اتصال مع استقلال،
بالاتصال ترفع الحجب عن العقول،
بالاستقلال تحفظ نفسك من النزول.
فلا تحرقك نار الأباطيل والهوى،
وتكون مُسلماً للحق ولو جرّ على نفسك الردى.
فتكون من "أولي الأيدي والأبصار".
...
القرءان مسبح ،
القراءة سباحة ،
القارىء سابح ،
فماذا يفعل الإنسان ليتعلم السباحة ؟

المفترض أن يُعلمه أبوه،
لأن الإنسان لا يتعلم السباحة بالفطرة بل بالرياضة.
هذا مَثَل ابن الولي،
الذي يأخذ فن قراءة القرءان بالمشافهة والمشاهدة،
ويمارسها من الصغر بالتلاوة والدراسة بإشراف أبيه.

إن لم يكن الأب من السبّاحين فمُدرّب سباحة،
وهذا مَثَل حضور مجالس تدارس القرءان،
وأخذ الطريقة على يد العارف به.

إذا نظرت في المسابح المحترمة،
ستجد ولابد طوق إنقاذ معلّق بجانب المسبح،
لماذا؟
حتى إذا أوشك سابح على الغرق نرميه له.
لكن من الضعف أن تسبح دائماً بطوق الإنقاذ.
الطوق هو كتب علماء التأويل والتفسير،
والمأثور عن النبي وأهل التنوير.

الأصل أن تسبح وحدك وتقرأ وتستنبط مباشرة،
تكون رجل مستقل يركض بَقَدَمي التلاوة والدراسة.
لكن في حال حصلت حادثة،
كأن يسكت قلبك فجأة وهو غفلتك عن حضور الله،
أو يصيبك شد عضلي وهو تعب ذهنك عن التفكير،
أو تعرّضك لضربة معتدي وهو سماعك لشبهة ضال،
أو نحو ذلك من العوارض الطارئة،
حينها تستطيع طلب طوق الإنقاذ لحماية روحك.

الأمة اليوم يربيها شيوخها على هذا:
إما أن يجلس الناس على الكراسي ويشاهدوا الشيوخ يسبحون ويبلبطون في الماء (الاستماع فقط للدرس)،
وإما أن يسمحوا لهم بوضع أطراف أقدامهم في المسبح مع الحذر من دخوله (قراءة تفاسير مختصرة)،
وإما أن يركبوا كالأطفال على أكتاف آبائهم (اتباع مذهب في عقيدته وفتاويه والالتزام بمنهجه في التفسير)،
وإما أن يسبحوا وحدهم لكن مع طوق الإنقاذ حول أعناقهم والإرهاب المستمر بالغرق (مثل "افهم القرءان فقط بحسب ما ورد عن السلف الصالح وإلا ستدخل النار لأنك قلت في القرءان برأيك").

المفترض أن تكون أجسام أمة بُنيت ثقافتها على كلمة "اسبح" أجساماً رياضية جميلة ونشيطة،
كذلك المفترض أن تكون حركة عقول ونشاط أرواح وجمال بلاغة أمة بُني دينها على كلمة "اقرأ" حركة دائمة ونشاط عظيم وجمال بديع.
نحن أمة قام نبيها بحفر مسبح في بيتها لكن قام أوصياء بعده وقالوا لأهل البيت "إياكم والماء".
أجسام هزيلة،
لونها باهت،
رعب الموت بالغرق قتلها قبل موتها،

والجفاف يحيط بحياتها العامّة والخاصّة.

اسبحوا وسبّحوا وافعلوا الخير لعلكم تُفلحون.

...
سورة الكوثر أصعب سورة في القرءان.

{إنّا أعطيناك الكوثر}
حِمل الكوثر عظيم وثقيل، "إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا".

تذكّر العطاء المستمر له لحظة بلحظة وعدم اعتياد ذلك فيقسو القلب أو تجحده النفس مللاً منه هو عمل عظيم ونادر من شدة حاجته إلى الحياة والوعي المستمر. "اذكروا نعمت الله عليكم".

الإيمان بأن الكوثر من لدن الله وليس من عند نفسك وعقلك وإن كنت تشهده في نفسك ويخرج من عقلك بالفكر والنظر والبصر بحقيقة الأمور وحسن التعبير عنها هو أمر عظيم بحد ذاته وانظر إن شئت إلى مَن كفر بذلك وقال "أوتيته على علم عندي".

{فَصّلِّ لربّك وانحر}
قد تطلب الدنيا بالكوثر القرءآني وقد تطلب الآخرة به، لكن أن لا تحجبك لا دنيا ولا آخرة وتطلب ربك به وتتجاوز الدنيا وتعرج من الآخرة إلى ربك بأجنحة القرءآن هو أمر عظيم. "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. ثم إنهم لصالوا الجحيم".

أن لا تجعل نفسك ربّاً للناس وتأمرهم باتخاذك رباً بسبب علمك الكوثري وفيضك الرباني هي عقبة كبيرة سقط فيه مَن قال "أنا ربكم الأعلى". "لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله".

نحر جسمك ونحر أهلك ونحر عشيرتك ونحر أملاكك ونحر عقائدك من أجل الانطلاق بحرية تجاه تحقيق إرادة ربك التي كشفها لك بالكوثر بالرغم من شعورك بالسعادة بسبب تدفق الكوثر في قلبك هو عمل عظيم يميل الكثير إلى عدم الأخذ به والرضا بما هم عليه. "قل إن كان آباؤكم وأبناءكم..أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا".

{إن شانئك هو الأبتر}

أن لا تحرّف القرءان من أجل إرضاء الناس ولا من أجل الخوف من الناس عمل قد يقع فيه حتى المقربين أحياناً "وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه".

أن ترى الله هو المتكلّم الوحيد في الوجود ومع ذلك لا تعتبر نقد الأبتر لك ككلام يجب قبوله هو فرقان عظيم بين التجلي الكوني والتجلي الشرعي وتقديم الشرعي على الكوني. "ليبلونكم الله بشيء من الصيد تصيبه رماحكم".

استقامتك على أمر الله والصلة به بالرغم من وجود الكثير من المنبترين عن هذه الصلة حولك يحتاج إلى فردية واستقلالية نفس وقناعة كبيرة. "يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين".

نعم، سورة الكوثر قليلة حروفها جليلة تكاليفها. بل لأن تكاليفها ثقيلة جاءت حروفها خفيفة حتى يسهل حملها وتذكرها ولا يجتمع الثقل على القوة العاملة مع الثقل على القوة المفكرة.

...

أن تحبّني امرأة لا يثيرني، أن تؤمن بي امرأة هو الذي يثيرني.
مع كل فضل ابتلاء.
وقد تفضّل عليّ بأن جعل حبّي سهلاً وابتلاني بمن يحبّني بأن جعل الإيمان بي صعباً.
أما لي فالابتلاء هو أن ينظر هل سأختار البقاء مع امرأة فقط لأنها تحبّني والحب يعزز هواي وأنانيتي الدنيوية ويجعل شخصيتي البشرية أعلى من حقيقتي الرسولية أم لا.
أما لمن يحبّني فالابتلاء هو أن ينظر هل سيختارون العمل بمقتضى الحب وهو التضحية بالأهل والمال للبقاء معي وكذلك لينظر هل سيعرجون بالحب إلى الإيمان أم لا.
حبّي ابتلاء. وبغضي لعنة لا تُبقي ولا تذر. وجودي في هذا العالَم محنة لي وللناس. و "الله لطيف بعباده".

...

أن تكرهني وأنت تفهمني أحبّ إليّ من أن تحبّني وأنت لا تفهمني.
الفهم رابطة مقدسة، والحب ينقلب إلى بغض بل وقتل، أما الفهم فهو واحد لا ينقلب لضده.
الفهم أعلى من الحب.
والإيمان أعلى من الفهم.

...

البكاء علامة استجابة الدعاء.

...
{لا حول ولا قوة إلا بالله} طاقة العالَم.
لكل شيء ظاهر وباطن. ولكل ظاهر وباطن درجة من القوة. هذه القوة {بالله}. فأنت تقول {لا حول} أي لا قوة ظاهرية، {ولا قوة} أي لا قوة باطنية، {إلا بالله} فالباء حبل الطاقة وسبب الامداد. اسم الله قوة العالَم.

...
{إذا جاء نصر الله والفتح}
المجيء تغيّر، والتغيّر نزول عن مستوى حقيقة الوحدة المطلقة. لذلك قيّده بالشرط {إذا}، فالمشروط مقيّد، وهذا شاهد آخر على مستوى التقييد الذي نزل منه هذا الكلام.

النصر ضد الفشل، والفتح ضد الغلق، فهذه أضداد وصفات محدودة، والحق تعالى وراء الصفة والسرّ لا صفة له. فـ{الله} هنا هو إله المعتقدات لا الإله المطلق، كما قال في أخرى " اتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون" فقيّد الله بإيمانهم، أي الله الذي أنتم به مؤمنون وليس الله الذي أنتم به كافرون أو عنه غافلون أو به جاهلون. إله معتقدكم الخاص بكم. لذلك ينتظر صاحب إله المعتقد تغيّراً ما في حياته، يرى وجوب اتخاذ سبب وشروط ليحصل له هذا التغيّر. ينتظر النصر لأنه يرى أنه يعيش في فشل، وينتظر الفتح لأن اعتقاده يوجب عليه رؤية الانغلاق في زمن ما من أزمنته حياته. فإله المعتقد يجعلك في الزمان، والإله المطلق يحررك من الزمان. إله معتقدك يجعلك ترى النصر في هذا دون ذاك، لكن الإله المطلق يجعلك ما وراء النصر والفشل أو إن شئت قلت يجعلك ترى أنك منصور دائماً بغض النظر عن الظروف والأحوال. معتقدك يجعلك كائناً جزئياً، لذلك تريد هذا النصر والفتح دون سواه. ولا ترى الفتح الوجودي وانتشار النور الإلهي في السموات والأرض بدون قيد ولا شرط إذ "الله نور السموات والأرض". أنت لا تعتقد لأنك تريد نصر الله لله بل تريد نصر الله لك أنت. الاعتقاد استعمال الله من أجل ذاتك. فهو قلب للأمور فيصير هنا العبد رباً والرب عبداً.

{ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً}
دين إلهك أنت. وإلا فإن "دين الله" الذي هو الدين القيّم قائم في فطرة كل الناس بلا تبديل ممكن. "فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم". فالناس لم يخرجوا من دين الله حتى يدخلوا في دين الله. هذا مثل جحا حين دخل السوق راكباً حماره وصاح في الناس "مَن منكم رأى حماري".

هذا العبد المسجون في عقيدته لا ينظر إلى الله بل ينظر إلى الناس، أو إن شئت قلت ينظر إلى الله من أجل أن يرى الناس. لكن همّه الناس. وإلا، فمَن هذا الذي ينظر إلى الله فيجد وقتاً أو رغبةً لينظر إلى ما دونه.

الدليل أن الدخول هنا إنما هو في طاعة إنسان ودينه وليس في دين الله المطلق هو أن الناس دخلوا في دين الله {أفواجاً}، والفوج الجماعة المترابطة. الدين شأن فردي، "جئتمونا فرادى". هذا دين الله حقاً. لكن الدين الذي يدخله الناس أفواجاً سيخرجون منه أفواجاً، لأنه سراب ولأنه ظل تغرب شمس صاحب الدين فيزول عن الوجود وينقبض عن الامتداد.

فالناس هنا وقعوا في ضلال كبير لذلك قال بعدها...

{فسبّح بحمد ربّك واستغفر إنه كان تواباً}
لأنه لم يسبّح أي ينزّه ربّه الواحد المطلق حين انتظر منه النصر والفتح، ولأنه ارتكب ذنباً بإدخال الناس في دينه هو وجعلهم يغفلون عن فطرتهم الإلهية ودينهم الذاتي، أمره بأن يسبّح ويستغفر ووعده بالتوبة. لأن الإله المطلق لا يتجلّى إلا بتجلّيات مقيدة، التجلي بحد ذاته تقييد، فحيث لم يكن عند هذا العبد قدرة على غير قبول التجلي كما هو، تاب عليه إذ الأمر منه إليه به.

...
اقرأ القرءان على أنه نزل على عارف بالله وليس على غافل عن الله وجاهل به.

مثلاً، حين يقول {إن شانئك هو الأبتر}. لا تظن أنه يتحدث مع غافل ضعيف الناس يريد تقويته وتعزيزه بكلمات تشجيع فأخبره بأن شانئه كذا وكذا كأنه سباب متبادل. لا تكن سافلاً في قراءتك القرءآن العالي. لكن قل هكذا:
حين رأى الله في الكثرة، وصلّى لربه فظهر ربه به ونحر شخصيته البشرية حتى يكون مرآة للأنا الإلهية "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله"، حينها علم الله أنه سيكون في خلقه مَن يرفضون أي تجلي لله في غير ذواتهم هم وسينكرون بالتالي تجلي الله في ذات الرسول، فحتى لا يتناقض الأمر في عقل الرسول قال له "إن شانئك" بعد ما أخذت الكوثر وصليت ونحرت، "هو الأبتر"، هو المبتور عن معرفة الله في كل تجلياته والإيمان به بكل صوره وتقلباته، إذ انبتر عن الحق الذي ظهر بك "من رآني فقد رأى الحق" (الحياة كلها رؤيا أيها الغافل الذي يحرّف الحديث على أنه في رؤيا المنام الجسماني فقط. "الناس نيام" و "الله هو الحق

المبين"). وأشار للعارف بقوله "هو" في وسط الكلام {إن شانئك هو الأبتر} حتى يعرف أن ما بين الشنآن والانبتار لا تغفل عن "هو" الذي "هو الله أحد"، فهو الذي تجلى بالشانئ فكما أن فعل اسم النافع يضاد فعل اسم الضار وفعل اسم الغفور يضاد فعل اسم المنتقم كذلك لابد من ظهور هذه الحقيقة في الناس الذين هم خلفاء اسم الله الجامع للأضداد فقال "جعلنا لكل نبي عدوا". والأبتر اسم، والاسم حقيقة، والحقيقة للحق، ولو كان باطلاً محضاً هذا الأبتر لما كان له اسم يدل عليه عند الله "إن هم إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان".

على هذا النمط انظر في أعماق القرءان فإنه حق من حق. وسترى عمقه في نفس حروفه، وهذه من عجائب اتحاد الظاهر بالباطن.

...
"لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين"
لأن المؤمن هو الذي يعلم ثم يرى علمه في الواقع ويعمل بمقتضى ما ينفعه بحسب ذلك. فإذا لُدغ أول مرة من جحر، حصل له علم بالخطر الكامن في الجحر، بالتالي حين يمرّ من عند نفس الجحر سيرى علمه في الواقع ويتذكر اللدغة الأولى فيبني عليه عمله النافع فيتقي الجحر.

...
قلت لصاحبي: ارسل لي حساب نتفلكس.
قال: افتح كمبيوتري الأسود وفيه الحساب جاهز.
ففتحته فلم أجده فقلت له:
ما فيه لا الاسم ولا السر.
والعياذ بالله من حياة بدون الاسم وبدون السر.

...
الجوع بدون صيام كالحج لغير الكعبة. مضيعة للوقت وألم بلا مثوبة.

...
قلت شيئاً فقالت: شي ما ينفهم الحمدلله على نعمة التمييز.
فقلت: لو كان فيه نعمة التمييز لكان هذا الشيء ينفهم. والذي لا يفهم لا يقول "الحمد لله" فعدم الفهم ليس نعمة، لكنه مصيبة لذلك عليه أن يقول "إنا لله وإنا إليه راجعون" أو يقول "استغفر الله" لعل الله يرسل عليه سماء الفكر مدراراً.

...

ما معنى أن الآية لها معاني لا نهاية لها؟
لا يمكن أن يكون القصد أن نفس الألفاظ العربية لها معاني لها نهاية لها، لأن المعنى المطلق لا يكون معنى معقولاً، إذ المعنى حد فغير المحدود لا معنى له. هذا من ناحية المبدأ. فضلاً عن أننا نرى أن التركيب اللغوي للقرءان هو تركيب عربي مبين فهو مثل أي تركيب عربي آخر من هذا الوجه، فله معنى محدود. فلابد أن يكون المقصود من جهة أخرى. والجهة الأخرى هي تطبيق المعاني على الحالات الفردية للقراء وأحداث الزمان المتغيرة. حين تنزّل المعنى المحدود للقرءان على حالتك الخاصة المتغيرة الجديدة والتي لا نهاية لأشكالها بحكم وجود أعداد عملياً لا نهاية لها بحكم كثرة القراء وتغير الأزمان، فحينها ستجد معاني لانهائية من القرءان. تنزيل القرءان متناهي وتأويله غير متناهي.

...

{الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة ، وهو الحكيم الخبير.}

{الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض}، لأن كل ما في السموات وما في الأرض إنما يبحث عن كمال ذاته الخاصة به وإن استقصى الرحمة عن الفئة المشابهة له والتابعة له. بالتالي كل ما فيهما سيهتم فقط بنفسه ومن يشبهه وينسى البقية ولا يوصلهم إلى كمالهم المقدّر لهم. لذلك {الحمد لله الذي له} وليس لغيره ولا جعل لغيره ملكية العالمين.

لكن الدنيا اليوم لا تكشف بالضرورة لكل أحد من الخلق أنه وصل إلى كماله الذاتي الذي يبحث عنه طول حياته بحسب نفسه، لذلك قال بعدها {وله الحمد في الآخرة}، الحمد من كل الخلق سيكون له في الآخرة، وأما في الدنيا فالحمد له فقط من "الحامدين" وفضلهم تحديداً لأنهم حمدوا وكانوا من أهل الحمد قبل الآخرة.

{وهو الحكيم} بحصره ملك ما في السموات والأرض بذاته تعالى. كما قال "لو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن". {الخبير} الذي عرف أن الحمد سيكون له في الآخرة من الكل لأنه خبر كمال كل مخلوق أنه سيحمده حين يرى أنه وصل إلى مبتغاه التام في الآخرة.

{يعلم ، ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السمآء وما يعرج فيها، وهو الرحيم الغفور.}

الآية السابقة في الحمد، وهذه في العلم. فالحمد على فعله كما قال "يحبّون أن يُحمَدوا بما لم يفعلوا". والعلم متعلق بذاته كما قال "وهو بكل شيء عليم". فالسابقة كشفت صلته

بالعالم وهذه كشفت صلة العالم به. وصلته بالعالم التجلي به، وصلة العالَم به كونه معلوماً له. معلوم له بكلياته وجزئياته، بقديمه في الأعيان وبحديثه في الأكوان.

{ما يلج في الأرض وما يخرج منها} لكل عالَم ثنائية تخصه تناسبه. ما يلج في الأرض أي الحقيقة المجردة التي تلج في الصورة الخيالية والطبيعية فتتجسّد بها، وهذا هو ضرب الأمثال. وما يخرج من الأرض أي بالتأويل والاعتبار عبر تجريد المثل واستخراج كنهه الباطني.

{وما ينزل من السماء وما يعرج فيها} الأفكار التي تنزل من الروح إلى السامعين. وتعقّل الأفكار والعروج بها إذ النزول سيكون بنزول الفكرة في صورة الكلمة، والعروج سيكون بأخذ الكلمة كالبراق لبلوغ السماء بفتح أبوابها بحروف الكلمة وإذن الروح الكامنة فيها لمن أخذها بالإيمان "ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون". لذلك قالوا أنه لولا ليلة القدر لما كانت ليلة المعراج، إذ ما نزل في ليلة القدر هو كلمة الله فبالقوة الكامنة فيها عرج إلى السماء بعدها.

إذن، الأرض أمثال، والسماء روح. الأرض برزخ بين الحقيقة والصورة. السماء برزخ بين الروح والكلمة.

{وهو الرحيم الغفور} الرحيم لأنه يخرج من الظلمات إلى النور، والغفور لأنه يستر السيئات بالحسنات. فالرحيم هو الذي أخرج من ظلمات الأمثال الأرضية، والغفور هو الذي ستر سيئات النفوس بكلماته المقدسة.

{وقال الذين كفروا: لا تأتينا الساعة، قل: بلى وربي لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.}

الساعة ظهور السعاة بكتاب الله بإظهار العلم الغيبي والباطني الكاشف عن كل النفوس وأحوالها ومصائرها. أي ظهور بيان العلماء للكل. {وقال الذين كفروا} كفروا بالحمد والعلم المشروحين في الآيتين السابقتين. {لا تأتينا الساعة} أي لن يبلغنا كلام أهل الله لأننا سنعرض عنه وسنفعل الأفاعيل لعدم سماعه مثل "جعلوا أصابعهم في آذانهم" ومثل "لا تسمعوا لهذا القرءآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" ونحو ذلك من أساليب الهرب من سماع الكتاب المبين الذي فيه العلم الغيبي المحيط لرب العالمين. وبما أنه لن يبلغنا كلام رسل الله فالنتيجة أننا لن نعاني من عذابات أصحاب النار التي يخبر عنها الرسل إذ في تصوّر هؤلاء الجهلة الذين كفروا أن الكلمات هي التي تخلق الحقيقة وليس أن الكلمات الحقيقية كاشفة عن الحقيقة، وغفلوا عن حقائق منها أنهم سيسمعون كلام الله شاؤوا أم أبوا وسيبلغهم حتماً إذ لا حق لهم في تقييد حرية الرسل في الكلام والرسل سيوصل الله بهم البلاغ إلى الكل "سيريكم آياته

فتعرفونها" و"سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق"، ثم إن كلام الله رحمة لهم إذ سيعرفهم ما هم في الآن وما سيؤول إليه أمرهم في الآخرة الكبرى المبني على ما هم عليه الآن في نفوسهم. فلا مفرّ من إتيان الساعة لذلك قال {قل بلى وربي لتأتينكم} وهذا أول إتيان الساعة، أول إتيانها أنهم سمعوا قول الرسول لهم {بلى وربي لتأتينكم} ولو عقلوا لعرفوا أن سماعهم هذا القول شاهد على الساعة التي ينفون إتيانها لهم. الرسول نفسه مظهر الساعة ورأس السعاة بالكتاب المبين. "يسألك الناس عن الساعة. فيمَ، أنت من ذكراها" أي فيمَ يسألون وأنت أيها الرسول من ذكراها، فكيف يسألون عن ما هو حاضر عندهم وهو أنت.

لماذا ستأتي الساعة للكل؟ قال بعدها...

{ليجزي الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم. والذين سعوا في ءاياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم.}

إذن الساعة إظهار جزاء العمل ظاهراً وباطناً. ومدار الساعة على الموقف من الآيات. ولاحظ كلمة "سعوا في آياتنا معاجزين"، لاحظ "سعوا" فإنها مرتبطة بفكرة "الساعة". فكل أحد يسعى. "ليس للإنسان إلا ما سعى". السعي سبب والساعة أثره.

لمّا جعل {سعوا في ءاياتنا معاجزين} موقف الذين كفروا، عرفنا أن الموقف من الآيات الإلهية هو مدار المصير في الساعة. فضد موقفهم هو {ءامنوا وعملوا الصالحات}، هذا ضد السعي في الآيات معاجزاً. إذن، هو إيمان بما في الآيات من العلم، أي تعقله ثم تراه في الآفاق والأنفس، وعمل بحسب ما بينته الآيات من الصالحات أي الحكم، لأن الآيات تبين عمل المجرمين فهو عمل فاسد، فالمقصود عمل الصالحات، والصالحات هي فعل الأوامر وترك النواهي. السعي في الآيات معاجزاً هو إما بعدم تعقل العلم وإما بعدم النظر لرؤيته في الآفاق والأنفس، وإما بعدم فعل الأوامر وترك النواهي.

الإيمان جزاؤه المغفرة، لأن العلم يغطي الروح بالنور. العمل الصالح جزاؤه الرزق الكريم، فجزاء العمل الرزق وجزاء الصالح الكريم. كما جعل في المقابل للكافر أيضاً رزقاً في الجحيم لأنه عمل ولكل عمل أجر عند رب العمل الذي هو الله لكن بحسب نوعية العمل سيكون نوع الجزاء. فلكل عمل من العبد رزق من الرب. "أعطي الأجير أجره قبل ن يجفّ عرقه"، ما كان الله ليأمرنا بمثل هذه السرعة في دفع الأجرة ويتأخر هو سبحانه عن دفع الأجرة للعباد، حاشاه، بل هو يدفعها الآن لكن في آخرة الناس أي نفوسهم وبواطنهم، ويشهدون ذلك في آخرتهم الكبرى ويضاعف لهم ما أعطاهم الآن في نفوسهم بإظهار ذلك في الدار التي

سيجعلهم فيها. من الرزق الكريم لمن يفعل الأمر ويترك النهي الذي نزلت به الآيات هو "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"، فسيعطيه ذوقاً وأحوالاً وفتوحات تخصّ كل فعل وترك قام به، وهذا أجره الفوري من الكريم سبحانه.

{سعوا ، في آياتنا ، معاجزين / لهم عذاب ، من رجز ، أليم}. ثلاثة بثلاثة. سعيهم تجسّد في عذاب. موقفهم من الآيات تجسّد في الرجز. والمعاجزة ذاتها تجسّدت في الألم. فالسعي بحد ذاته يكون نعيماً أو عذاباً كما قال "لسعيها راضية" والرضى بحد ذاته نعيم. فضدّه عذاب كقولهم "يا ليتنا نُردّ فنعمل غير الذي كنّا نعمل" أو "وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً". هذا الأول. الثاني، الآيات ذاتها تتحوّل إلى رجز أو إلى نعمة كما قال عن فرعون في أحد العذابات "فلما كشفنا عنهم الرجز". الرجز فيه معنى الصوت كقولهم "ترجز الرعد" أي صوت، وكذلك فيه إشارة لنوع من الكلام أي شعر الرجز، ويوجد معنى القذر وعبادة الأوثان. كذلك هنا. الآيات هي صوت الرسول وكلام الله وهو غناء مقدّس وطاهر ويوصل بالرحمن، فضدّه صوت الزبانية والشياطين والمجرمين وكلام الكفار والأبالسة والنشاز وصوت حمير النفوس الأنجاس ويوصل لعداوة الرحمن وعذابه. فمن أخذ الآيات بالإيمان صارت له نعيم وهدته إلى الجنة، ومن رفض الآيات بالكفر صارت عليه رجزاً وساقته إلى النار كما قال النبي عن القرءان "من جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعل وراء ظهره ساقه إلى النار". أخيراً المعاجزة تتجسّد في الألم، لأن المعاجزة فيها معاني منها مقاتلة الرسل وأهل الحمد والعلم حتى يصبحوا عاجزين عن الحياة بدين الله وهذا فيه إيلام للرسل وأهل كتاب الله فيردّ عليهم ذلك عدلاً بإيلامهم، وفيه معنى آخر وهو معاندة الحق بإنكاره ورميه بالباطل وفي ذلك إيذاء لله ورسوله بل وإيذاء للكون كله كما قال "تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا. أن دعوا للرحمن ولدا" فيردّ عليهم إيلامهم لهؤلاء بإيلامهم عدلاً، وفيه معنى اعتقاد أنهم يعجزون الله عن تحقيق سنّته فيهم وفيه ذلك إيلام شديد منهم لأنفسهم إذ هذا مستحيل والسعي في المحال مؤلم فيزيدهم من الألم الذي طلبوه بلسان فعلهم وحالهم فيزيدهم بكرمه منه.

ما نزل من مقام الوحدة لابد من تفرّقه إلى أضداد حين ينزل إلى مقام الكثرة الذي هو الطبيعة. لذلك حين تنزل الآيات إلى الدنيا ستجد {الذين سعوا في آياتنا معاجزين} لكن ستجد أيضاً ضدّهم وهم {الذين أوتوا العلم الذين بيّنت الآية التالية شأنهم. لكن حين ترجع النفوس إلى الآخرة العليا فإنه لن يبقى كافر بل "سوف يعلمون".

مما ينبني على ذلك، وجوب الكلام والتبيين بغض النظر عن وجود المنكر والكافر بكلامك ورسالتك وبك. إذ لو كنت ستعمل بناء على موقف الآخرين منك، فيوجد كافر ويوجد مؤمن، فإن كان الكافر سيوجب عليك اختيار السكوت فالمؤمن يجب أن يوجب عليك اختيار الكلام. أنت لست لعبة أو مرآة حتى تختار فعلك بحسب موقف الآخرين منك. لذلك قال "الحق من ربكم" وليس منكم ولا من غيركم. فمزاجك سيتقلب، والغير متقلّب، فيضطرب على ذلك أمرك وتصبح عبداً لغيرك ممن هو بشر مثلك.

{ويرى الذين أوتوا العلم الذي أُنزل إليك من ربّك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد}

مدار الآية على {الذين أوتوا العلم}. {أوتوا} وليس اخترعوا ولا أخذوا ولا اكتشفوا. فالله هو الذي يؤتي هذا العلم. يأتيهم من الغيب وقد لا يعرفون مصدره لذلك بناه على المجهول {أوتوا} ولم يحدد مَن الذي آتاهم بالنص، لأن المصدر غير محدد بالنسبة لهم أي هو غيبي متعالي. فالمقصود نوع من العلم وليس كل ما يطلق عليه الناس علماً. لذلك ذكر آثار لهذا العلم المُؤتى لن تجدها في كثير من أنواع العلم أو ما يطلق عليه علم عند مختلف الناس شرقاً وغرباً قديماً وحديثاً.

ما هو العلم؟ في سورة القصص قال عن أم موسى أولاً أنه أوحى إليها، "أوحينا إلى أم موسى..إنا رادّوه إليك"، هذا خبر جاءها من الوحي. لكن لاحظ بعدها أنه قال "أصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كانت لتبدي به، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين"، فهنا فؤاد وقلب. الفؤاد فرغ ولم يثبت على مقتضى الوحي، والربط وقع على القلب الذي هو منزل الروح "نزل به الروح الأمين على قلبك". ثم بعد تحريم المراضع ورد موسى إليها قال "لتعلم أن وعد الله حق". فالعلم بأن وعد الله حق لم يقع لها إلا بعد ما حصل لها الردّ فعلاً، أي تحقق الخبر الذي جاءها بالوحي في الواقع. جاء تأويل الخبر. لأن الخبر موضوعه كان حدثاً خارجياً طبيعياً، فالعلم به لابد أن يكون بشهود الحدث الخارجي الطبيعي. العلم إذن اتحاد بين العقل والواقع.

من هنا حدد أوّل صفة للذين أوتوا العلم بأنها {ويرى} فهذا الفعل أي الرؤية، هو ثمرة العلم المؤتى هنا. فانظر متعلّق الرؤية لتعرّف حقيقة العلم المقصود. {ويرى..أُنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد}، فلولا أنهم يرون ربه ويرونه ويرون الحق ويرى العزيز الحميد ويعرفون الصراط الذي يهدي إليه ويدركون العلاقة بين السبب والأثر والوسيلة والغاية، ويرون تجلي الأسماء الحسنى في مظاهر الكون والأشخاص، كل هذا بدونه لا تصح هذه الرؤية. باختصار، يرون الله ويرون الخلق يرون فعل الله وفي الخلق. الآية تجمع ذكر

الخالق {ربك..الحق..العزيز الحميد}، وذكر الخلق {الذي..إليك..}، وذكر فعل الله في الخلق {أُنزل..يهدي إلى..}. فهي جامعة جمعاً تاماً للوجود. إذن {يرى} محيطة، رؤية تامة.

...

قالت: هل صحيح ان الاسقاط النجمي حرام؟

قلت: السؤال الصحيح ليس هل هو حرام ام حلال لكن هل هو حقيقي ام باطل وهمي ان كان حقيقة فهو حقيقة، والحقيقة من الحق والحق هو الله "الله هو الحق المبين". ثم تسأل: هل نفعه اكبر من ضرره؟ فان كان نفعه اكبر من ضرره فيجوز فعله. وكان العكس فلا بشكل عام إلا إذا استطعت أن تظن بغالب الظن أنك ستأخذ منه منفعة أكبر من الضرر الحاصل أو قد يحصل. إن كان باطلاً فهو باطل، وانتهى الأمر. هذه هي العقلية القرآنية.

...

فتحت بالأمس جريدة النيويورك تايمز فوجدت هذا، في الصفحة اليسرى خبر عن مصيبة لزارعي المانجا في الهند بسبب تقلّب الطقس، وخبر عن غرق أفارقة أرادوا الإبحار عبر البحر المتوسط بهجرة غير قانونية هناك. لكن في الصفحة اليمنى إعلان واحد يملأها، فيه صورة شابة جذابة عارية الصدر ويبدو أنها عارية كلها وتلبس جواهر ثمينة ويقول الإعلان عنها "أبدع جواهر في العالَم".

لما رأيت هاتين الصورتين جنباً إلى جنب خطر في بالي ما يلي:

الخاطر الأول، مُحرر هذه الجريدة الأشهر في أمريكا يبدو أنه ما عنده دم ولا ذوق. لأن من الدم أن لا تذكر ترف المترفين بجانب معاناة المُعانين غير المعانين من المترفين. ومن الذوق أن لا تضع صورة مثيرة للشهوة بجانب صورة مثيرة للشفقة بل مثيرة لاستفراغ المعدة، كأن تضع إعلاناً للطعام بجانب صورة خبر عن اغتصاب أطفال. هذا يدلنا على الغفلة التي تصيب الذين يعملون في مؤسسات كبيرة تجعلهم أحياناً لا يلتفتون لمثل هذه المعاني (مما يذكرنا بغفلة وقلة دم وذوق المؤمنين حين يتحولون من أفراد أحرار يعشقون الله إلى طوائف مُنظمة تهتم بمصلحتها في الدنيا بشكل رئيس).

الخاطر الثاني، لعل واضع هاتين الصورتين المتناقضتين يريد أن يذكرنا بالتناقض الصارخ في الدنيا ما بين الأثرياء والفقراء. فمن هذا الوجه يكون شديد الذكاء واختياره في الصميم. فهو يرينا بغير كلام أهمية جبر المسافة أو تقليلها ما بين الغني والفقير. وقد عرفنا أن صوت الصورة أحياناً أعلى من صوت الكلمة (أنا أميل لهذا التفسير أكثر).

الثالث، التناقض بين الصورتين يذكّرنا بحال عموم الناس في الدنيا. الذي يثير الشهوة واللذة ويدعو للفخر على الآخرين (الصورة اليمنى) أعلى من الذي يعمل للمصلحة ويهتم بالمعيشة ويطلب الأمن والكرامة لنفسه وعياله. لأنها امرأة جذابة وعارية فإنها لا تحتاج إلى كل العرق وآلام الظهر التي يحتاجها الفلاح الهندي الفقير لكي تعيش (نعم قد يصيبها آلام في الظهر من الانحناء لكن الانحناء هنا لأغراض أخرى أكثر لطافة من زراعة المانجا). وهذه المرأة لتعيش معززة مكرمة لا تحتاج لأكثر من حفظ جمالها لكي تحصل على الأمن والكرامة الاجتماعية ولا تحتاج إلى الإبحار عبر المحيطات والغرق فيها. تعري الجميل أعلى في الدنيا من عرق العامل وجهاد المضطهد. (للإنصاف: الجميل يحتاج إلى التعرق في النادي والجهاد لكي لا يأكل الأيس كريم كل يوم...بل وتحمّل كثير من الإهانات لتصل إلى مقام عارضة أزياء ذات رتبة عالية، والله أعلم كم مرة ركعت أمام المسؤولين حتى تفوز بالقرب من الحق...أقصد المال. الدنيا بلاء للكل).

الرابع، "إن مع العسر يُسرا". فحين ترى مصيبة تذكّر النعمة، وحين ترى النعمة تذكّر المصيبة. هكذا تتوازن نظرتك للحياة ولا تُخسِر ولا تطغى في ميزان العقل المُدرِك للوجود.

الخامس، لاحظ كيف تنظر المرأة نظرة تكبر واستعلاء على الصفحة اليسرى، وهذا يعزز قيمة الإعلان من حيث أن لبس المجوهرات أصلاً هو نوع استعلاء غالباً على الفقراء. هي نزعة تفاخر بين الناس. فكأنك بلبسها تُظهر أنك أعلى منهم لأنك تملك ما لا يملكونه. (أنا أميل لهذا التفسير إن كنت سأحدد الغرض الحقيقي للإعلان في هذا الموضع تحديداً). يعني رجعنا..الإعلان هنا إعلان لسفالة بعض البشر...وهل هذا خبر!

...

يقولون: الشغل (كسب المال) عبادة.

أقول: لا ونعم.

(لا)، لأن كسب المال يقوم به العابد والفاجر، المؤمن والكافر، صاحب الفردوس وصاحب الدرك الأسفل من النار. كسب المال راجع لإرادة عيش الجسم في أمن ولذة وشعور النفس بالقيمة والعِزّة. الإنسان بشكل عام سيرغب في ذلك ولا علاقة للأمر جوهرياً بالعبادة، هذا أولاً.

ثانياً وهو الأهم، هذه العبارة (الشغل عبادة) عادةً يقولها ناس يعيشون تناقضاً بين اعتقادهم الديني ورغباتهم الحقيقية. رغبتهم هي الدنيا واعتقادهم الآخرة. فهم لا يريدون سعي الآخرة الثقيل عليهم لأسباب كثيرة على رأسها جهلهم أو الحادهم الضمني الخفي، لكن في المقابل لا

يثقون بالدنيا وتقلباتها فيريدون إيمانهم بالله كوسيلة لتعزيز نفوسهم وقت المصيبة، فيكون الحل تحويل طلب الدنيا لهوى النفس إلى عمل مبني على العقيدة، فتولد عبارة (الشغل عبادة).

(نعم) الشغل عبادة، بثلاثة شروط أو على الأقل توفر أحدها مع نية لتحقيق الاثنين. الأول، أن يكون عملك المركزي هو تلاوة كتاب الله وإقامة الصلاة وذكر الله، ثم حتى تتفرغ لذلك بكرامة تقصد كسب المال، حينها كل نَفَس منك سيكون تسبيحاً. الثاني، أن تطلب المال بالحلال وحسب أمر الله. الثالث، أن ترى عملك الظاهري في كسب المال كشعيرة ذات معنى باطني روحي أيضاً، فتأخذ الظاهر وتتأمل الباطن، إذ كل الحِرَف حروف لها روح. مثلاً، طب البدن أمثال لطب الروح "ننزل من القرءان ما هو شفاء". تجارة الدنيا رمز لتجارة الآخرة "هل أدلكم على تجارة تنجيكم..تؤمنون بالله". وهلم جراً. اعمل هذه الثلاثة ثم قل "الشغل عبادة"، ولا تخدع نفسك وتمنّيها الأماني الباطلة وتُغرق نفسك في مستنقع وهمك.

الذي يعيش كملحد عملياً (لا يشتغل معظم يومه أو كله إلا قليلاً بالتلاوة والدراسة والذكر، لا يهتم بالشريعة، لا ينظر في باطن الدنيا) فهذا لا شغله عبادة ولا يحزنون. بل ستجد هؤلاء عادةً من الذين لا يحسنون حتى في أمر الدنيا البحت، لأنهم مترددون. فاحذر عبارات التلفيق الديني الشائعة في البيئة المنافقة...وما أوسعها من بيئة!

...

العنف ليس دليل القوة لكنه دليل الضعف. لأن القوي فعلاً لا يحتاج إلى العنف ليحصل على مراده إذ لا يوجد من يقاومه من الأساس، ولا يخاف من عدو ليحمي نفسه. العنف علاج الضعف. الشديد الضعيف اليائس هو العنيف. كذلك في الغنى. الذي ينتظر مقابل ممن يحسن إليهم لا يكون غنياً حقاً بل هو فقير ومريض بهوس الافتقار. فالذين يقولون مثلاً "يجب التخلص من العجائز والمعاقين للحفاظ على قوة العرق والتخلص من المستهلكين غير المنتجين". هؤلاء منحطين بأكمل المعاني. لولا شدة ضعفهم وفقرهم لما قالوا ذلك وفكروا فيه. تجد تجلياً لهذا المعنى في الحيوانات. كلما جاع وخاف الحيوان كلما ازداد اضطرابه وعنفه. وبالعكس، ترويضه وتدجينه وجعله لطيفاً مسالماً يكون بجعله يحيا لفترة طويلة في حالة وفرة مالية وراحة بال صحية واقتصادية وسياسية. نفس الشيء في الناس. لا تقل "الفقير لا يهتم بالعلم والفن ونظره محدود" أو "الطبقة المتوسطة الكادحة عندها خلل عقلي قبيح". أنت تعكس السبب والأثر. الفقر والكدح المفرط يسببان أمراض في النفس عادةً. هما جريمة ضد الإنسان. مجتمع يضمن حد متوسط محترم من العيش والصحة والأمن لكل أفراده أفضل من مجتمع

يُترَك فيه الناس ليصبح أكثرهم مأكولاً وبعضهم قاهراً. نحن في عصر صار يملك من الأدوات ما يكفي لتحقيق ذلك النمط الأفضل. أكبر عقبة أمامنا هي تاريخنا وعاداتنا الراسخة الدائرة حول عقلية القاهر والمقهور في أمر المادة. المخرج سيكون بجعل أعمال الطريقة أساس كل فرد ليحيا سعيداً ثم تسخير الماديات لتحصيل الوقت والصفاء للقيام بأعمال الطريقة الإنسانية (الخلوة، التأمل، الذكر، الفكر، الكتابة، القراءة، الدعاء، المجلس).

...

{وحرمنا عليه المراضع من قبل} يعني حين {وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه}، فلما رضع موسى من أمّه، تغيّر تكوينه بحيث لم يعد يقبل غير أمّه، فالتحريم في {حرمنا عليه} تحريم تكويني، وليس التحريم التشريعي إذ الطفل غير مكلّف بعد. التحريم التكويني يبعث على الاختيار التشريعي، والتحريم التشريعي يجد علّته وحكمته في التحريم التكويني كأن يكون تحريم أكل الميتة تشريعاً مَثَّل على أكل الكلمة الميتة الروح واللاعقل فيها لأنها تحرّم عليك معرفة الحقيقة وتحصيل الخير ونحو ذلك. فالتكوين أصل التشريع.

الذي يرضع من الأم التي يوحى إليها، أي الروح، سينفر من مراضع آل فرعون، أي الطبيعة. أم موسى هي الروح، أصل موسى، مرجع موسى وهو الكليم، فالكلام يرجع إلى الروح. {حرمنا عليه المراضع} مراضع آل فرعون، أهل الدنيا. القرءآن أم موسى، كتب البشر مراضع آل فرعون. ونفسك الموسوية تحتاج رضاعة القرءان حتى تبلغ أشدّها وتستوي.

...

{أوحينا إلى أم موسى..إنا رادّوه إليك} إذن قد عرفت المستقبل القريب. {وجاعلوه من المرسلين} فعرفت المستقبل البعيد. وهذا من علم الغيب. إذن الإنسان قد يعلم الغيب، القريب والبعيد، وإن لم يكن رسولاً بشريعة للناس أجمعين.

...

{فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحَزناً}. عدو لفرعون وجنوده، وحَزَن لهامان وجنوده. الحَزَن هو الشدة، كذلك مع كل طاغية شيوخ دين دجالين متشددين في الدين، كالوهابية مع الدولة السعودية، والملالي مع الدولة الإيرانية الشيعية. لذلك قال في تكملة الآية {إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين}. فرعون سلب بني إسرائيل إرادتهم الحرة، وهامان سلب المسلمين عقولهم النيّرة. جنود فرعون بأسلحة الحديد، وجنود هامان بالألسنة الحِداد.

...

{وقالت امرأت فرعون: قُرّت عين لي ولك} لم يستطيع فرعون حتى أن يجعل امرأته تقدّمه على نفسها، حتى قدّمت نفسها عليه في النظر {لي ولك}، قهر كل الناس ولم يستطيع أن يقهر امرأته، هكذا يبدأ إذلال الطاغية في بيته.

إن كانت المرأة تستطيع تقديم أحد على نفسها لقدّمت امرأت فرعون فرعون على نفسها. لكنها قالت {قرّت عين لي ولك}. فلو ملكت البلاد والعباد، لا تستطيع أن تجعل امرأة تقدّمك على نفسها.

{عسى أن ينفعنا أو نتّخذه ولداً} الذل الآخر. مع كل علوه واستكباره طلب النفع من لقيط من قوم هم عبيده. ذل ثالث، رأى نفسه رباً ولم يستطع إنجاب ولد بنفسه.

{وهم لا يشعرون} لا يشعرون أن موسى عدوهم. لم يكن الله ليذمّهم بعد الشعور وينتقصهم إلا وهم يقدرون على الشعور. كما شعرت أم موسى بأنه سيُرد إليها ويكون من المرسلين. الشعور كشف باطن ومستقبل الأمر قبل ظهوره وتحققه في الحاضر. فموسى الرضيع اللقيط في الظاهر، لو شعروا، لعرفوا أنه الرسول العدو المُهلك لهم في الباطن والحقيقة. الشعور معرفة البواطن وهي بواطن.

...

{فقالت لأخته قصّيه...قالت هل أدلّكم على أهل بيت} هذا يدل على أن أخت موسى كانت تعمل عند آل فرعون حتى عرفت دواخل بيتهم وأسرار عائلتهم بل وكانت من القرب منهم بحيث كلمتهم مباشرة واقترحت عليهم حلاً لمشكلتهم. إذن، كانت موظفة عندهم أو عبدة في بيتهم و لا أقل من معارفهم. وكلمة "أهل بيت" لعلها تشير إلى بيت شريف، كما نقول أهل البيوتات ونقصد الشرف والكرامة في المجتمع. على أية وجه كان الأمر، ففي الآية إشارة إلى تدبير الله السابق، فتوظيف أخت موسى أو صحبتها لامرأت فرعون فيه كان من ضمن تدبير الله لموسى حتى من قبل أن يولد أو يحصل له ما يحتاج فيه إلى ذلك حتى يتحقق ما قدره الله له.

...

{فرددناه} موسى. {إلى أمّه} أصله. {كي تقرّ عينها} الجسم. {ولا تحزن} النفس. {ولتعلم} الروح. الأم هي الأصل الجامع، وبالثلاثة اكتمل الإنسان. كذلك الكلام، وموسى الكليم، له ثلاثة أبعاد، اللفظ والمفهوم والحقيقة، فاللفظ للجسم والمفهوم للذهن والحقيقة للواقع الذي يدل عليه اللفظ ويحكيه المفهوم الذهني.

...

{ولما بلغ أشدّه واستوى آتيناه حكماً وعلماً}. لما بلغ أشدّه هي إرادته التي ستأخذ الحكم، واستوى عقله الذي سيأخذ العلم.

...

{ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها. فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه، قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين. قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم...فأصبح في المدينة خائفاً يترقب}.

ما العبرة هنا؟ لماذا قال موسى عن عمله {هذا من عمل الشيطان}؟ في مجلس الأمس، فُتِح لصاحبي أحسن ما أعرفه في الآية ولا أظنه موجود ولا في كتب التفاسير. خلاصة ما قاله مع بياني له وإضافتي عليه كالتالي:

{فوجد فيها رجلين يقتتلان} هذا ما وجده. رجل ورجل وبينهما اقتتال، أي قتال من الطرفين. ولم يقل: وجد فيها رجلاً يقتل رجلاً أو يعتدي عليه. فلم يعرف بمجرد رؤيته للاقتتال مَن معه الحق ومن عليه الحق، لم يستطع تحديد من المعتدي ومن المُعتدى عليه حتى ينصر المُعتدى عليه ويقف مع الحق بغض النظر عن أي اعتبار آخر. وهذا مقتضى العدل. لكن موسى ترك هذا. ثم نزل دركة أخرى، وذلك أنه لم يكتفي بالمفارعة بينهما أي إبعاد كل رجل عن الآخر وإيقاف الاقتتال بينهما، لا أقل لأنه أخف ضرر خصوصاً أنه لا يعرف مَن صاحب الحق في هذا الاقتتال. لكن موسى لم يفعل هذا أيضاً. فعلى ماذا بنى فعله؟ على التشيع له. لاحظ كيف أعاد الله هذه العبارة مرتين تنبيهاً لنا على أنها كانت الباعث لعمل موسى. {هذا من شيعته وهذا من عدوه، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه}. هذه الصياغة الإلهية تدل على حالة موسى العقلية حين نظر إلى الرجلين يقتتلان. لم ينظر بعين "مَن معه الحق؟ " ولم ينظر بعين "ما هو أخف ضرر؟". لكنه نظر بعين "هذا من شيعتي لأنه من بني إسرائيل وهذا من عدوي لأنه من آل فرعون". بناء على التشيّع له تصرّف، لا بناء على الحق. وهذا التصرّف {من عمل الشيطان}. لاحظ قول الله {فاستغاثه الذي من شيعته} ولم يقل الله أن الذي استغاثه كان المظلوم، ولا حتى قال لنا مثلاً "فاستغاثه الذي من شيعته المظلوم" أو شيء يدل على هذا المفهوم، بل اكتفى بأنه من شيعته "فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه" كذلك لم يبيّن لنا الله أن الذي "من عدوه" كان هو الظالم في هذا الاقتتال بالتحديد. بناء على هذا الاعتبار فقط، أي اعتبار التشيع لموسى، {فوكزه موسى فقضى عليه} "قتلت نفساً بالأمس" "إني قتلت منهم نفساً". حينها قال {هذا من عمل الشيطان}. لماذا؟ لأن عمل

الشيطان هو التفاخر بالظاهر "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين" فلم ينظر إلى روح آدم. كذلك هنا، موسى نظر إلى الظاهر، "هذا من شيعتي وهذا من عدوي"، ولم ينظر في روح القضية التي هي الحق والعدل في الاقتتال حتى ينصر المظلوم أيهما كان. العمل بناء على العصبية هو من عمل الشيطان، العمل بناء على الطائفية والقومية والتحزب للوطن أو أي نوع من التحزبات والوقوف مع أناس فقط لأنهم ينتمون لك ويتشيعون لك ظاهراً هو من عمل الشيطان. {إنه عدو} للإنسان يريد الشرّ له بحجب روحه وروح الحق عنه، {مضل} عن الحق والعدل، {مبين} معلن عداوته وإضلاله ونيته في ذلك كما أخبرنا الله عنه أنه قال " لأغوينهم" ونحو ذلك. من هنا قال موسى بعدها {قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي} ظلم نفسه بحجب الروح عنها ودسّها في الجسم. وأذنب بحق ربّه لأن عدم نصرة الحق والعدل فوق أي اعتبار آخر ولو على النفس والوالدين والأقربين والعشيرة هو ذنب بحق الله بغير النظر عن الموقف من الناس بعد ذلك. {قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين} المنقطعين عن الحق والعدل، والنعمة هي نعمة الروح والحكم والعلم الذي أوتيه كما قال الله في آخر السورة لصاحب القرءان "وما كنت ترجو أن يُلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين". حين انتصر موسى للرجل الذي من شيعته بدون النظر في الحق والعدل في القضية التي أمامه، فإنه كان ظهيراً للمجرمين من آل فرعون كما قال هو نفسه لاحقاً "أن هؤلاء قوم مجرمون"، لأن هذا ما بنى عليه فرعون أمره في الناس "جعل أهلها شيعاً، يستضعف طائفة منهم"، وموسى بعمله هذا بنى على الأصل الفرعوني، ولعله من أثر التربية بينهم "أولم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين".

لماذا {فغفر له إنه هو الغفور الرحيم}؟ لأنه لم يختر مكان تربيته إذ كان طفلاً، فما بُني على ما لم يختره لا يستحق عليه مؤاخذة حقيقية. ولأنه تنبّه لخطئه وتاب منه واستغفر وأقرّ على نفسه بالخطأ، والله تواب إذ الإنسان من شأنه عدم العلم وعدم العدل فمن التطور في أطوار الأنوار المرور في الظلمات وهذا أمر حقيقي لا يمكن تبديله "الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور". ولأن آل فرعون-وهذا أهمّ سبب عندي-يستعبدون بني إسرائيل بالقهر ويذبحون أبناءهم، فالحرب قائمة بين آل فرعون وبني إسرائيل بهذا الاعتبار، فقتل بني إسرائيل لكل آل فرعون مباح بحكم العدل إذ "البادي أظلم"، فحين قضى موسى عليه لم يفعل أكثر من إظهار أنه واقف مع بني إسرائيل المُستَعبَدين ضد آل فرعون الظالمين العالين القاهرين المعتدين المجرمين. الاستعباد يبيح نفس ومال المُستَعبِد للمُستَعبَد. أما النفس فلأنه يعتدي على نفسه ويقهره ويعذبه ويهدده فعلياً بالقتل في حال خرج عن أمره فقد قتل إنسانيته وكرامته الإلهية باستعباده. وأما المال فلأنه يجعله يعمل له بدون حرية اختياره للعقد وبدون أخذ

المقابل العادل لعمله. لذلك ستجد الله انتقم من فرعون وجنوده، وهم الذين استعبدوا النفوس بالقهر ولم ينتقم من هامان وجنوده بل من فرعون وجنوده "فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم" فالذين سيغرقون هم فرعون وجنوده فقط لا هامان وجنوده الذين لا قيمة لتشددهم ودجلهم بعد ما تذهب القوة القهرية التي يمدّهم بها فرعون بجنوده. ولذلك ستجد الله أذن لبني إسرائيل بعدم نهي موسى لهم (في الرواية أن موسى هو الذي أمرهم، وهو معقول لأنهم لم يكونوا ليفعلوا شيئاً بأجمعهم بدون أمر من موسى إمامهم) أذن لهم بأخذ "زينة القوم" أي قوم فرعون، فأخذوا زينة من عندهم وهي أموال ثمينة لعلها كالذهب والفضة والمجوهرات ونحو ذلك مما يخف حمله ويعلو ثمنه كما يقول بعض الذين احتاجوا إلى الهرب بعد أن كانوا في السلطة وانقلبت أحوالهم، كذلك هنا نفهم أن الذين فرّوا مع موسى تحت جنح الليل سيأخذون ما هذا شأنه. لكن جاء السامري الجاهل بعد ذلك وأقنعهم بأن هذا مال حرام يجب التخلص منه فأعطوه إياه وصنع لهم به العجل. نفوس وأموال آل فرعون حلال لبني إسرائيل. ولا حجّة لقاهر على مقهور. والحرب مفتوحة بينهما وإن كانت باردة وساكنة وخفية. ولعل هذا من أسباب سعي رجل من بني إسرائيل للاستفراد ببعض آل فرعون لقتله، كالحادثتين المذكورتين هنا "فوجد فيها رجلين يقتتلان" و "فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه". لعله رجل أراد الانتقام بنفسه بالسر من آل فرعون على استعباد الرجال وذبح الأبناء واستحياء النساء من بني إسرائيل. لذلك نصره موسى في الحالتين، في الأولى نصره بالوكز وفي الثانية قال "فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما" حتى بعد أن قال له موسى "إنك لغوي مبين". ففيه إشارة إلى تعارض أمرين كلاهما حق: الأمر الأول أن التكليف أثناء فترة الفرعنة هو الخروج من أرض الفراعنة، وهو الأفضل لأن غير ذلك إما مستحيل الإتمام وإما احتمالية نجاحه أقل بكثير من الحد الذي يبرر المخاطرة في طريقه. الأمر الثاني أن أخذ الحق الآن وفوراً ولو بالموت في سبيله هو شهادة وطريق مشروع. فلما تعارض الأمران اختلف شأن موسى، فمرّة قدّم الأصل وهو أخذ الحق الآن، هو الأصل قطعاً بغض النظر عن النجاح في الدنيا والغلبة فيها، وهي القصّة الأولى "فوكزه موسى"، فكانت القصة الأولى حاكية عن المبدأ الأصلي الذي هو أخذ الحق الآن وليكن ما يكون. ثم القصة الثانية حكت على المبدأ الثاني الأنفع للمجموع والأكثر فرصة للنجاح والغلبة، إذ نريد حقنا لكن نريد الغلبة أيضاً، فأخذ حقنا ينفعنا في الآخرة لكن الغلبة تنفعنا في الدنيا، ونحن نريد في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة. الذي يخاطر بنفسه اليوم وسط بلد الفرعنة اتبع موسى، والذي يفكّر لنفسه ولقومه للغد اتبع موسى. كلاهما محق وكلاهما نافع لقضية الحرية والحق والعدل.

...

{قال رب إني ظلمت نفسي فغفر له...فأصبح في المدينة خائفاً..فخرج منها خائفاً..}
قد يغفر لك لكنك تبقى خائفاً. ما بينك وبينه سلام، لكن ما بينك وبين الخلق حرب. أن يغفر لك ما بينك وبينه شيء، وأن يغفر لك الناس ما بينك وبينهم شيء آخر. قد لا تخاف منه لكن تخاف من خلقه. قد يترك حقه لكن خلقه لا يتركون حقهم.

...

جادل بعد فهم مقصود الناس بألفاظهم ولا تبني على فهمك أنت لها.

مثلاً: مفهوم الابن. في الجدل بين المسلمين والمسيحيين ستجد خلافاً طويلاً عريضاً عميقاً لكن إلى الآن لم أجد الخلاف إلا سراباً بقيعة أذهان قوم لم يعقلوا ما يقولون أو ما يقول خصمهم. فإذا تحرر المعنى واتفق المقصود، فالغالب إما اتفاق وإما افتراق عن تفاهم ودي ويندر ما سوى ذلك.

الابن يُطلَق ويُقصد به أن الله تعالى لم يخلق شيئاً من خارجه لأنه لا يوجد شيء خارجه وغيره، فلتقريب هذا المفهوم من أذهان عوام من صيادي الأسماك والفلاحين الأميين في ذلك الزمان تم استعمال لفظ "الأب" لهذا الغرض وغيره، والمقصود كما أن الأب يقذف الابن من داخل صلبه فالمعنى أن الابن منه وليس من خارج وجوده، كذلك علاقة المخلوق الأول المحيط بالله تعالى خالقه لأنه لم يأتي من غيره فهو "ابنه". قرآنياً سنقول "الله بكل شيء محيط" وروائياً سنقول "كان الله ولم يكن معه شيء"، فالخلق لا يكون إلا من ضمن إحاطة الله وعين ذاته. من هذا الوجه اتفاق.

الابن يُطلق ويراد به خلاف الخادم. فالمقصود أن الخادم لا يعرف أسرار أفعال سيد البيت لكنه يعرف الأوامر فقط "افعل ولا تفعل"، لكنه لا يعلم الحكمة والسر وراء هذا الفعل، أما الابن فإنه يعرف ذلك أو قد يعرفه بتعليم الأب له إياه. حين تأتي طريقة مبنية على الحكمة ومعرفة الحقائق وليس فقط الحلال والحرام، وإرادة تمييز طريقة العرفاء من طريقة الفقهاء، يمكن استعمال الابن كرمز على طريقة العرفاء، والخادم كرمز على طريقة الفقهاء. أقصد من حيث معرفة الحقائق والأسرار والعلل وراء أوامر الشريعة. من هذا الوجه قد نقول قرآنياً "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب"، وروائياً "عرفت فالزم". من هذا الوجه اتفاق.

أما حين يُطلق الابن ويراد به الولد، بمعنى وجود انفصال ما بين الوالد والولد، فهذا لا ينطبق على الله لأن الله محيط ومطلق فلا ينفصل عنه شيء كما لا يتصل به شيء منفصل عنه. فإذا قلت للمسيحي العاقل: هل تعتقد بأنه يوجد شيء خارج وغير الإله الواحد الحق؟ إن

قال نعم كفر وجهل وفتح على نفسه أبواباً من التناقضات لا حل لها. وإن قال لا، وجب عليه رفض مفهوم الولد بهذا المعنى. هنا احتمال قوي للاتفاق بشرط تحرير أصل الخلاف.

يُطلق الولد ويراد به ما ينتج عن الصاحبة، ومعنى هذا على المستوى التجريدي هو أن الألوهية جنس تحته أنواع، كالحيوان جنس تحته أنواع كالفرس والأسد والبشر. والإله الأب يكون أحد تشخصات الألوهية، فيكون متعدداً أو قابلاً للتعدد كبقية الأنواع والأشخاص تحت الجنس المشترك، بالتالي تكون له "صاحبة" بلسان الأمثال، ومن الاتحاد بينهما أو التواصل يخرج "الابن". من نظر إلى الألوهية على أنها كذلك فهو واحد من اثنين، إما واحد يعتبر الألوهية هي الروحانية أي يرى "الله روح" كما يقول المسيحيون، فحينها ضلالهم في حصر الله في الروح دون بقية العوالم كالجسم، لكن من هذا الوجه يكون قولهم بالبنوة بنوة الروح الذي اختزلوا الله فيه، وبنوة الروح معقولة بذاتها. وإما واحد يعتبر الألوهية هي عين الوجود المطلق الواجب بذاته لذاته، ثم يقول بأن له ابن، فيكون شخصاً لا يعقل ما يقول ويقول ما لا يُعقَل. فمدار الخلاف هنا على تحديد معنى الألوهية. ثم تحديد معنى البنوة. ثم النظر في إمكان النسبة بين البنوة والألوهية. المسلمون ينظرون إلى الألوهية على أنها ما وراء الروح والجسم، ما وراء كل قيود العوالم، لذلك ينكرون البنوة بمعنى الإشعاع الذاتي أو الصدور الفيضي التقييدي وغير ذلك من معاني. المسيحيون ينظرون إلى الألوهية غالباً على أنها الروح، والروح مثل الشمعة قد تصدر منها نيران كثيرة بدون تغير ذاتها وهذا كأن تصدر كتب كثيرة من أم الكتاب عند المسلمين بدون أن يتغيّر النور القرءاني الواحد العالي أو كمثل تعدد سور القرءان مع وحدته الذاتية لأن القرءان هو الروح "كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً". فلو تفاهم المسلم مع المسيحي على مستوى الروح فقط، لوقع اتفاق قريب. ولأمكن التقارب بعقل وحقيقة. وأما قبل حصر البحث في مستوى الروح، فإن الأمر يضطرب والجدل يحتدم بلا حل.

على هذا النمط تأمل. حرر المعنى، ثم جادل.

...

قرأت بالأمس في الصلاة بسورة الزلزلة وبدلاً من قول "يصدر الناس" قلت "يخرج الناس". فصححت لي صاحبة لي بعد الصلاة الخطأ. وقد كنت شعرت قبل قراءة السورة أني سأخطئ هذا مع أني أحفظ السورة وهي من ضمن وردي القرءآني الكبير. فاستغربت من هذا الخطأ وشعرت بأنه لابد من البحث فيه. فنظرت فإذا بفتح عظيم يكمن وراء هذا الخطأ.

نظرت في التفاسير فوجدت أن بعضهم يستعمل لفظة "يخرج" كشرح لكلمة "يصدر". فمن هذا الوجه هو خطأ في اللفظ. لكن قلت بعدها: وما الفرق بين يخرج ويصدر؟ فنظرنا في

المجلس وتحاورنا فقال صاحبي إشارة أشعلت مصباح الفتح، وقالت الصاحبة بعد بحثها في مواضع ذكر الصدر فإذا بها "يصدر الناس" و "يصدر الرعاء" في قصة موسى "فلما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء". إذن يصدر ويرد كالخروج والدخول، لكن يوجد معنى أخص وأكبر. فلا يوجد ورود إلا بعده صدور، ولا يوجد صدور إلا عن ورود. هما من قبيل الأب والابن، والشروق والغروب، لابد من أحدهما للآخر. وحين يذكر الحكيم أحدهما فإنه يشير ضمناً إلى الآخر وإلى وجوده.

{ورد} جذر ذكر في القرءان في مواضع ويُراد بها إما العطش مثل "إلى جهنم وِردا" بالكسر. وإما الذهاب إلى موضع شرب الماء مثل موسى "لما ورد ماء مدين" وهنا ورد عكس صدر. وإما هذه الآيات الخطيرة وهي محلّ الفتح العظيم الذي أشرت إليه، مثل فرعون حين "يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار فبئس الورد المورود"، ومثل "إن منكم إلا واردها"، وآيات جهنم التي تذكر ورود جهنم. وهنا تذكرت ما قاله ابن عربي وغيره من انتهاء عذاب أهل النار بمشيئة الله والقول بفراغ النار من أهلها بعد اللبوث فيها أحقاباً إلى ما شاء الله. لأن الله ذكر دخول جهنم بمصطلح الورود، والورود بعده صدور، ولا يكون وروداً إلا ومفهوم الصدور يتبعه ويتصل به. وعلى ذلك يكون دخول النار وروداً بعده صدور وخروج منها. وبيان ذلك: في كل نفس فطرت الله التي لا تتبدل، لكل الناس إنسهم وجنهم. لكن "ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"، فهذا الران طبقة فاسدة على القلب لابد من إزالتها، "يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية" فالنار طريق تخليص ذهب الفطرة من شوائب الران، والشوائب إما كفران وإما كفر "ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم". فيوردهم الله النار حتى يسقيهم من حرّها ما يجعلهم ينكرون كل كفر وكفران ويعرفون حقيقة وروح الإيمان والوحدة الإلهية. فإن تمّ لهم هذا وصفت فطرتهم من الران الذي اكتسبوه في الدنيا، حينها إن شاء الله يخلّصهم منها ويصدرهم بعد أن أوردهم إياها. يصدرهم مسلمين بعد أن أوردهم مجرمين. يصدرهم سالمين طيبين بعد أن أوردهم مرضى خبيثين. والله الرحمن الرحيم.

من هنا نعرف أن الصدر، أقصد الصدر الذي فيه القلب، سُمّي صدراً لأنه المكان الذي يُرى فيه أثر العمل أي أثر الورد. "يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره". الورود للسبب، الصدور للأثر. وصدر القلب يُرى فيه الحساب كله لمن أبصر. فمن نظر في صدره فقد نظرت في كتاب قيامته، إن كان من المبصرين المستبصرين.

...
قالت: سلطان درست الحروف؟
قلت: نعم. ولازلت.
قالت: ح؟ ب؟ ه؟ ن؟ عندك معلومات؟ الله يسعدك.
قلت: موضوع طويل ممكن اكتب عنه لاحقاً ان شاء الله. لكن على العموم الحروف تدل على الأصول الغيبية المتعالية للأسماء الحسنى ومظاهرها الكونية. يعني: (شجرة) تدل على هذه الشجرة المعروفة. لكن (ش ج ر ة) بهذا الترتيب، تشير إلى موجودات لما اجتمعت وتركبت بطريقة معينة نتج عنها هذه الشجرة المعروفة. كما لو قلنا (سلطة) مكونة من خس وخيار وطماطم. هذه العناصر الثلاثة الأساسية لكل واحد وجود مستقل، ثم اجتماعهم أنتج سلطة. الموجودات كالسلطة. لها عناصر أساسية. هذه العناصر هي الحروف. من اجتماعها بكيفية وكمية معينة تنتج الموجودات. فالحرف له مستويات متعددة من التأويل. له مستوى يبدأ من ما قبل الأسماء الحسنى أيضاً لذلك قال "الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم". نزولاً إلى ما تحت الثرى من باطن الجسم. فالحروف أول ما تجلى من الهوية الأحدية، ومن هذا التجلي تعيّنت وتحققت الأسماء الحسنى.
...

من آيات الجنة الظلمانية
(إن المُتقين في ظلال وعيون. وفواكه مما يشتهون. كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

(إنّ المُتقين) كما بينا من قبل، التقوى تثليث، المُتقي والمتقى به والمتقى منه. فالله هنا هو المُتقى منه، والمتقي يبحث عن وسيلة يجعلها بينه وبين الله، فصاروا ثلاثة. فالتقوى ضد معرفة الله بالوحدة الحقيقية المطلقة. لذلك قال يشرح حالهم..

(في ظلال) فهم في ظل، والظل كثير فهو ظلال. أما كونهم في ظل فيدل على انحطاط رتبتهم، لأن ظل الشيء وهم ممتد منه وليس حقيقته. توجد حقيقة شخصية وهذه الحقيقة لها ظل، كأن تقف تحت الشمس فيمتد ظلك. المتقي لا يعرف حقيقة الله والوجود لكنه يتعلق بظل، بوهم، بعقيدة مخترعة محدودة في وهمه وذهنه عن الله. لذلك هي ظلال كثيرة، لأن المتقي انحط عن شهود الوحدة المطلقة فسقط في الكثرة المظلمة. "ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً"، فالمتقي تعلق بظل الله فلا هو عرف حقيقته ولا حتى عرف الشمس بل ولا الشيء الممتد عنه الظل. فدخل في ظلمات ثلاث، فعوقب بالظلال.

(وعيون) عقوبة أخرى. فلما أضاع المتقي عين سره الواحدة التي تشهد بالله حقيقة الله الواحدة، بل نظر بعيون كثيرة متفرقة للوجود، عوقب بعيون كثيرة، يتيه فيه وتتضارب معطياتها. الذي ينظر بالله لله ويرى الله موجوداً فقط، فهذا صاحب عين الوحدة. لكن الذي يرى بعين أنه هو موجود، وبعين أخرى وجود الكون المنفصل عنه، وبعين ثالثة وجود الله المنفصل عنهما، وبعين رابعة الدين كوسيلة لاتقاء الله، وهكذا تتعدد عيونه، فإن جزاءه من صنف عمله وهو أن يضيعه في "عيون".

(وفواكه مما يشتهون) فسقطوا في الشهوة. عاملهم كالدواب الذين همهم الشهوة، لأنهم أصلاً اشتهوا وجودهم الشخصي المحدود، ولم يفنوا في الواحد المطلق. فجعل رزقهم (فواكه) كثيرة بدلاً من أن يكونوا من أهل الطعام الواحد الذي هو شهود الواحد، ثم الفواكه من الفكاهة وهي السخرية والمضحكة لأن المتقين أصلاً مسخرة ومضحكة عند أهل الحقيقة. وحصرهم في وهمهم فقال (مما يشتهون) يعني شهوتهم حددت فواكههم، أي ذواتهم قيّدتهم فهمهم وعقولهم واستقبالهم المحدود لنور الوجود. وهو دليل آخر على سقوط رتبتهم.

(كلوا واشربوا) ثنائية، مرة أخرى دليل على انحطاطهم، فبدلاً من العين الواحدة ذات العمل الواحد الذي هو الشهود، انقسم المتقون إلى عملين أكل وشرب لأنهم اعتقدوا بانفصال العبد عن الرب. فلما ثنّوا الوجود، ثنّى عملهم. الأكل للجامد والشرب للسائل، كذلك المتقي يعتقد بوجود ضدّية في ذات الوجود الحق بدلاً من الأحدية.
(هنيئاً) فيه معنى طلي الإبل بالقطران كذلك هؤلاء تفكيرهم الازدواجي يجعل روحهم مطلية بقطران العذاب. وفيه معنى أكل الماشية بلا شبع، كذلك هؤلاء صاروا كالأنعام لا يشبعون روحياً من نور الوجود. وفيه معنى الخدمة، كذلك هؤلاء صاروا خدم وعبيد في الوجود بدلاً من الفناء في الحق حتى يصيروا بربهم فيكونوا مظاهر الربوبية.

(بما كنتم تعملون) نسب العمل لهم ولو فنوا في الله لكان الله هو العامل وحده "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم". لما اعتقدوا أن تقواهم عملهم، حبسهم في عملهم. لو كانوا من أهل النور المطلق لقال لهم "الله يرزق من يشاء بغير حساب". هنا أعطاهم بحساب لأنهم حسبوا أنفسهم موجودين باستقلال عن الله. لكن من فني في الله فهو كالذي فني فيه لا حد له ولا حساب عليه. "إنك لعلى خلق عظيم" فأعطاه اسماً من اسمه إذ هو العلي العظيم.

...

من آيات النار النورانية
(وأما القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً)

(القاسطون) من قاسط وهو فاعل القسط. الله تعالى "قائم بالقسط". القسط إعطاء ذي حق حقه. الموجود الذي أعطى الله حقه هو القاسط. كيف؟ لأن الموجود لولا الوجود المفاض عليه لما كان له وجود، كما قال "الله نور..ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور". القاسط هو الذي أرجع الوجود لصاحبه الحقيقي وبقي هو على عدمه الأصلي. هو الفاني في الله. فقال القاسط "الله هو النور وأنا لا وجود لي ولا حتى هذه الأنا موجودة بل هي عدم مطلق". هذا العدم لم يزل منذ الأزل عدماً. لذلك قال بعدها..

(كانوا) في الماضي، في الأزل. يعني هكذا كان الأمر دائماً ولا يزال هكذا أبداً. فما كان لا يتغير. "كان الله ولا شيء معه". إذن "كان الله" لذلك هو كائن ويكون. كذلك هنا القاسطون "كانوا" على هذه الحالة. أي كل موجود في الحقيقة الأزلية كان في عدم أصلي ولم يحصل أي فيض حقيقي للوجود من الله على أحد بل "لم يكن معه شيء" ولا هو الآن كائن معه شيء، بل هو أحد وحده. فعبّر عن هذا العرفان بقوله بعدها..

(لجهنم) هي نار الإلهية المطلقة عن كل جهة واعتبار. كما أن النار بالرمز تشير لشيء لا وجه واحد له، كذلك الحق تعالى مطلق عن الوجوه المقيدة بل "فثمّ وجه الله". لو كان يوجد شيء حقاً غير الله ومعه لكان هذا الشيء وجهاً حصرياً لله. جهنم عبارة عن معرفة أن الوجود لله وما سواه عدم. لذلك وصف أصحاب هذه المعرفة باسم..

(حطبا) من معانيه جمع الشيء، كذلك هؤلاء جمعوا الوجود كله لله والعدم كله لذواتهم. ومن معانيه قطع الكرم حتى تصل لمجرى الماء منه، كذلك هؤلاء قطعوا كل نسبة وجودية عن ذواتهم حتى وصلوا إلى سر الأحدية الحية فيهم. ومن معانيه الشديد الهزال، ولا أشد من هزال شخص يرى أنه عدم مطلق. ومن معانيه قلع أصول الشجر، كذلك هؤلاء قلعوا بعرفانهم أصول وجودهم الشخصي ولم يبق إلا أرض الحقيقة الإلهية. ومن معانيه الناقة تأكل الشوك اليابس، كذلك العارف يرى الوجود المجرّد عن كل مظهر وصفة ونسبة ويتنعم بهذه الرؤية المقدسة. فالعارف حطب جهنم لأنه أحرق ذاته في سبيل أن لا يظهر إلا ربه ولا يُنسب حق إلا لذي الحق الذي هو الله. فهو القاسط الذي قام الله به بالقسط.

...

الأكل في النهار عمل البطّالين، والأكل في الليل عمل الغافلين، والأكل للتمتع عمل الكافرين، وعدم الأكل عصيان لأمر "كلوا واشربوا" من رب العالمين. فلم يبقَ أحسن من صيام الدهر مع أكلة واحدة معتدلة في أول الليل، واعتدالها أن لا تفسد قيامك ولا نومك.

...

مشاهدة التلفزيون ضرر للنفس. فمُقلّ ومستكثر.

...

العبرة ليست بصورة الدنيا لكن بتذكّر الله. فإن الله لو كان يبالي بصورة الدنيا لما جعل عاقبة البدن التراب وعاقبة الكون الخراب. تذكّر هذا جيداً لأن الدنيا ستتقلب بك، لكن إذا ذكرت الله دائماً في كل موقف خير وشر وحادث حسن وقبيح فإنك ستكون من الذين ثبّتهم الله بالقول الثابت فستكون روحك مستقرة عند ربك مهما تقلّبت صورة ظاهرك وباطنك.

...

{الله لطيف بعباده ، يرزق مَن يشاء ، وهو القوي العزيز}

{الله لطيف بعباده}

حقيقة الله تقتضي اللطف، لأن اللطف ضد الكثافة والعنف، والكثافة تركيب والتركيب حدوث والله قديم بذاته، والعنف علامة العجز ووجود المُقاوِم بينما الله قدير وأحد فلا غير له يقاومه.

اللطف يتجلى بعباده، من حرف الباء {بعباده}، و{عباده} ليس عبيده، أهل الإسلام لا أهل الاستسلام. لطفه بهم تجلي اسمه بهم، وظهوره بهم في عالمه، "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله". عباده يتنعمون حين يجدون الأسماء الحسنى ظاهرة بهم، ويتعذبون حين يجدون أضدادها واقعة بهم. فالله كريم فيتنعم عباده بالكرم ويتعذبون بالبخل. الله عليم فيتنعم عباده بالعلم ويتعذبون بالجهل. وأما عبيده فيفرحون بالبخل ويفخرون بالجهل. وهلمّ جرّاً.

{يرزق مَن يشاء}

مشيئته حددت رزق عباده، بالتالي لا علاقة للعبد نفسه بإيجاد رزقه من العدم لكنه يأخذه من العلم الإلهي وما حددته مشيئته العالية سبحانه.

"الله لطيف" اسم ذاته، {يرزق من يشاء} تعبير عن فعله. فذوات عباده مظهر اسم الله، وصور عباده رزق ومظهر مشيئة الله.

{وهو القوي العزيز}
اللطف بعباده مستوى العباد والخلق، والرزق من مستوى المشيئة وهي البرزخ ما بين الحق والخلق، وهنا مستوى الأسماء الحسنى {وهو القوي العزيز}. فلطفه تعالى يكون بإمداد عباده بالقوة والعزة، وإخراجهم من الضعف والذلة، "إذ كنتم قليلاً فكثّركم" و "نصركم الله ببدر وأنتم أذلة" و "يزدكم قوة إلى قوتكم". رزقه هو رزق قوة ورزق عزة، ويختلف بحسب درجة وجود عبده التي يمدّه بها بالقوة والعزة.

الحاصل: للهوية الإلهية ثلاث درجات، أعلاها الأسماء، وأوسطها المشيئة، وأدناها العباد.

...

التعرّض للقتل مصيبة للجاهل وطامّة للعالِم الكاتم علمه، لكنه نعمة عظيمة للعالِم الناشر علمه، لأنه عمل مهمّته وفرغ منها بالنشر وفاز بالشهادة وأشعل نار شهرة تعليمه بقتله ظلماً. ما يهرب منه الظالم يهرب إليه العالِم.

...

من التجربة الأمريكية نتعلّم أن أي مجتمع لو أخذ بهذه الأركان الستة سيفلح بإذن الله:
الأول، بناء على عمل المجتمع الى قوانين.
الثاني، حرية الدين.
الثالث، حرية التعبير.
الرابع، حق التجمّع السلمي.
الخامس، حق الشكوى للحكومة.
السادس، حق الناس في حمل السلاح.
انظر في أي دولة عندها الستة وستجدها مفلحة، وانظر في أي دولة فقدت الستة وستجدها منحطة وشعبها مريض بشكل عام، وانظر بعد ذلك كيف أن الدول بين هذين القطبين على درجات تعلو كلما ازداد الأخذ بالأركان وتنخفض كلما قلّ الأخذ بها. مثلاً، بالنسبة لعصرنا، أمريكة على رأس الدول المتحضرة، والسعودية في قاع الدول، والناس بين ذلك على درجات.
(ملحوظة: الخير الذي في عرب الجزيرة لا يعود فضله على الدولة السعودية فهو من خير العرب لا من خير هؤلاء الظلمة الأنجاس. ثم بمقارنة ما عند الدولة السعودية من خيرات بما أفاضته فعلاً على الناس في الجزيرة سنجد أنهم يستحقّون اللعنة أكثر من الحمد والمدح، فإنهم أخذوا بحراً وأفاضوا قطراً. ثم إذا نظرنا إلى حالة الأركان الستة سنجدها مفقودة كلها بشكل عام، وما يمكن اعتباره رائحة من على بعد خمسمائة سنة من جنّة الحريات والحقوق فإنه غالباً

ملوّث ومحدود ومحاط بالرعب ومنجّس بسوء الظن بالوضع العام والحكومة. كل شيء فيه خير، لكن الحكم على الشيء لا يكون إلا بالنظرة العامة والمحصلة الكلية لخيره وشره، والمحصلة النهائية للدولة السعودية هي ما ذكرته قبل قليل. فتأمل جيداً ولا تعميك شجرة واحدة طيبة في الجحيم عن نسيان الجحيم ذاته بكل ما فيه من زقّوم وسموم وظِل من يحموم.)

...

{قال رب نجني من القوم الظالمين} فاستجاب له، فوضع في قلبه الوجهة الصحيحة غيبياً حتى قال بعدها {ولما توجَّه تلقاء مدين}، فدلّ على أن ربه وجهه لكن لم يعلم موسى بيقين تام أن ربه هو الذي وجهه تلقاء مدين لكن كان غالب ظنه ذلك إلا أنه توكّل على الله توكلاً تاماً فلما اجتمع الظن الغالب مع التوكل {قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل}، فكلمة "عسى" دليل على الجمع بين الظن الغالب مع التوكل، ولو قطع أن ربه هو الذي وجهه تلقاء مدين لما قال "عسى".

...

{ولما ورد ماء مدين، وجد عليه أمة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين تذودان، قال ما خطبكما، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير. فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير.}

الفقير يذهب إلى موضع حاجته. وموسى كان عطشاناً، جائعاً، فقيراً، غريباً. لذلك قال {ورد} التي تشير إلى إرادته شرب الماء. {ماء مدين} إذ مدار كل أمّة وبلدة على مكان معين، أو جنس مكان، يوصف بأنه "ماء" تلك البلدة، إذ بدون الماء لا حياة. فلكل شيء ماء، إذ كل شيء حي ولكل حياة ماء، فالماء مَثَّل على هذا الأمر الجوهري الذي يحتاجه الشيء. فبحسب حاجتك ابحث عن مائك. هنا كان موسى عطشاناً، فورد ماء مدين. لكن بعدها موسى كان بردانـاً وتائهاً فاحتاج إلى النار فذهب إلى النار. وعلى هذا النمط، أنت تحدد الوجود، الوجود مطلق وأنت قيده.

{وجد عليه أمّة من الناس يسقون، ووجد من دونهم امرأتين تذودان}، كما "وجد فيها رجلين يقتتلان". فموسى يدخل وينظر ويجد الواقع على حالة، ثم يتفاعل معه بحسب حاجته هو. فهنا وجد حالة غريبة، أمّة من الناس يبدو أنهم رجال يسقون أي يسقون وحدهم ولا تستطيع النسوة إما خوفاً وإما استحياءً من الاقتراب من الماء حتى لا ينازعن الرجال. وكانتا {تذودان} أي تبعدان غنمهما عن الماء، فالغنم كان شديد العطش ويريد الماء ويهجم على الماء، لكن كانتا تذودان الغنم عن الماء اتقاء للرجال الرعاء {لا نسقي حتى يصدر الرعاء}. فأشفق موسى على

الغنم من العطش، وأشفق على النساء من الصبر والذود والذلة بعد أن عرف ما هم عليه بسؤالهما {ما خطبكما} أي لماذا تذودان وتقفان بعيداً عن الرعاء، فاستغرب موسى انفصال النساء عن الرجال في السقي، ولولا أنه استغرب ذلك لما سأل. فالأصل أنه في أمر المعيشة لا فرق بين رجل وامرأة من حيث العمل ذاته، والكل بحاجة إلى موارد الطبيعة ليعيش فالمساواة متحققة من هذا الوجه بينهما من حيث الحقيقة والشريعة ينبغي أن تنبني على الحقيقة. قالتا {لا نسقي حتى يصدر الرعاء} هذا يفسّر الذود، لكن لماذا لم يدخلا مع الرعاء كالرجال؟ قالتا {وأبونا شيخ كبير} أي عندنا رجل وهو الذي يتكفّل بنا عادةً لكنه شيخ حكمة وكبير في السن عاجز عن الحركة بنفسه بنحو ينازع فيه الرعاء هؤلاء، مما يشير إلى أن الرعاء هنا كانوا من الصنف المتعجرف المتكبّر الي يحتاج إلى منازعة لكي يُنتَزع منه الشيء، من هنا عرفت أن موسى "قوي".

{فسقى لهما} ولم يسقي لنفسه. مجاناً. هذا وهو فقير غريب وخائف. فالدرس: إذا خفت فاعمل عملاً خيرياً مجانياً وساعد الضعاف، وبالأخص اسقيهم الماء فصاعداً فالماء هنا عبارة عن أقلّ وأخف ما يمكن أن تساعد به الناس، فمن الماء فصاعداً ساعد الناس وانصر الضعاف. لا تجعل خوفك يشلّك ولا يقيّدك كيفية عملك بنحو يجعل خبيث النفس ومحصور الخير.

{ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير}، أي الماء الذي سقيته لهما. موسى رأى هذا الماء على أنه إنزال رباني، {رب إني لما أنزلت إليّ من خير}، عين الروحانيين ترى كل ما في الطبيعة إنزالاً، أي ترى الكون كخط عمودي لا أفقي. نظرتهم ميتافيزيقية لا ظاهرية مادية. موسى شهد ربه في فعله، فهو الذي سقى ومع ذلك رآه من ربه، فلم ينظر إلى حيثية غناه بربه بل إلى حيثية فقره إلى ربه، وهي عين العبودية العرفانية. لأن العبد ممكن، والممكن له وجه لواجب الوجود ووجه لانعدام الوجود، والعبد العارف هو الذي يرى كماله من واجب الوجود لكنه يعبّر عن نفسه من رتبة الإمكان الفقيرة إلى الواجب لترجيح وجودها وإفاضة صفاتها، ويتواضع لله فينظر إلى جهة عدمه ووجه استحالته. فهو في حالة "الظل"، أي ربه هو النور، وهو الظل، لذلك قال {تولى إلى الظل} ظاهراً وباطناً، فذهب موسى إلى ظاهر الظل تعبيراً عن كونه في مقام باطن الظل، وهنا نأخذ مفتاح الشعائر الرمزية التي تأخذ بالظواهر المتناسبة مع البواطن.

{فجاءته إحداهما تمشي على استحياء} أي واحدة منهما؟ واحدة قالت "لا نسقي حتى يصدر الرعاء" فتكلمت أولاً، وعبّرت عن إرادتها السقي، فهي الأقلّ حياءً. والأخرى قالت "أبونا شيخ كبير" فتمسكت بأبوها وعبّرت عن ضعفه بحياء، فهي الأكثر حياءً.

{قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا} هي التي قال لها موسى لاحقاً "امكثي إني ءانست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس"، فكما خاطبته هنا بالشيء وفسّرته له وذكرت علّته فقالت {إني أبي يدعوك} ولم تكتفي بهذا بل ذكرت علّة الدعوة وغايتها {ليجزيك أجر ما سقيت لنا}. فعاملها موسى بالعدل لاحقاً حين أمرها بالمكوث ثم فسّر لها علّة الأمر وغايته.

{ليجزيك أجر} لماذا؟

لأن مع كل نفع ضر في هذا العالَم. حتى يتوازن العالم لابد من ذلك. إذ هو ميزان، "والسماء رفعها ووضع الميزان"، والميزان فيه حسنة وسيئة، وغنم وغرم، ونفع وضر. فلابد من غرم لكل غنم، فقال الفقهاء "الغنم بالغرم" إشارة لميزان العدل في الكون. إن أخذت غنماً بدون غرم فستفتح على نفسك باباً من إتيان الضر إليك بالقدر الذي أخذته من الغنم. لإغلاق الباب لابد من دفع الأجر، إذ دفع الأجر غرم. من هنا قال النبي صلى الله عليه واله وسلم "الحمد لله تملأ الميزان"، لأن "إن تعدوا نعمت الله لا تحصوها" فكفّة الغنم مليئة بنعم الله، فإن لم نسدّها بمثلها من الغرم وهو دفع الأجر فسنفتح على أنفسنا باب نار لا حد لها لتتوازن مع النعم التي لا حصر لها، فجاء من رحمته بكلمة "الحمد لله" حتى تكون كافية لشكر المنعم سبحانه شكراً مطلقاً، والغرم فيها من حيث أن فيها نسبة الحمد لله بدلاً من النفس كما قال "يحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا"، وفيها بذل جهد في تحويل الطاقة إلى كلمة وإلى معنى الحمد، ومن رحمته اكتفى سبحانه بذلك ليملأ لنا ميزان العدل الكوني.

عرف الشيخ الكبير هذا الأمر، فحتى لا ينفتح باب ضرر على ابنتيه وعلى نفسه بعدهما، سعى ليجزي موسى أجره على ما سقاه. اختار النكاح، لماذا؟ لأن النكاح سبب الحياة بالتوليد، كذلك سقي الماء سبب الحياة بالشرب. فالنكاح ماء الجنس البشري. هذا أيضاً من التوازي بين الظاهر والباطن، وهي من أكبر قواعد العلم النبوي بالوجود.

{فلما جاءه} لم يرفض موسى الأجر. فحتى لو عملت بنية عدم أخذ أجر في البدء، فهذا لا يعني عدم أخذ الأجر بعد عرض الناس لك ذلك بغير استشراف نفس ولا سعي خاص وطلب عوض. من هنا قد تسقي من القرءآن للناس وتعلمهم مجاناً، لكن إن عرض أحدهم عليك أجراً

مناسباً للعلم القرءاني كأن يهديك كتاباً أو حتى مالاً لأن القرءان مال الروح والمال قرءان الجسم فحصل التناسب بين الظاهر والباطن، فبما أنك لم تقصد حصول الأجر من الناس ولن تقيّد عملك ولا نفسك بما أخذته، فقبولك لما يعطونك إياه-مع حفظ هذا الشرط القاسي-لن يؤثر في عملك الأول. إلا أنه لابد من التنبه دائماً إلى أن هذا استثناء، واستثناء صعب، وشرطه قاسي جداً، وينبغي لأهل القرءان عدم البناء والتعويل عليه كثيراً بل ولا يلتفتون إليه حتى بعد حصوله ويعتبرونه من ربهم لا غير، ولا يتغيّرون مع أحد من الناس ولو مقدار ذرة بسبب ذلك. فمن لم يستطع الوفاء بهذا الشرط فالحذر الحذر والهرب الهرب.

{وقص عليه القصص} قال صاحبي ما حاصله: عبّر موسى تعبيراً تجريدياً "القصص" ولم يقل "قصته" أو نحو ذلك، مما يدل على أن موسى قصّ القصص بدون اعتبار نفسه ضحية خاصة أو بدون انشداد واستغراق عاطفي في ما حدث له. ووافقته على هذا المعنى.

{وقص عليه القصص} لم يخفي حالته، صار حراً في التعبير عن تاريخه وما هو عليه.

{قال} الشيخ الكبير لموسى. {لا تخف} فقد عرف منه الخوف وعبّر موسى عن خوفه أيضاً. أي موسى لم يحكي القصة كحوادث ظاهرية فقط، بل ذكر مشاعره المصاحبة للحدث، فقد كان خائفاً حين خرج "خرج منها خائفاً يترقب"، وعبّر في حكاية قصته عن مشاعره أيضاً. من هنا نعرف أن المشاعر جزء من القصة النبوية. والحدث الظاهري لا ينفصل عن الحدث الباطني، مرة أخرى نرى قاعدة الجمع بين الظاهر والباطن. {نجوت} دليل أن موسى أخبره بالدعاء الذي دعاه حين قال "رب نجني من القوم الظالمين"، ففيه شاهد عن حكاية الأدعية أيضاً والأحوال مع ربك والصلة الخاصة بينك وبينه. {من القوم الظالمين} دليل أنه أخبره عن آل فرعون وظلمهم بني إسرائيل وموسى، ومن شدة ارتباط الشيخ موسى استعمل نفس تعبير موسى عن آل فرعون في دعائه السابق وهو أنهم "القوم الظالمين". إذن، حكى موسى أشخاص القصة والحوادث والأدعية والمشاعر. فاجتمعت في هذه القصة الموسوية جميع أبعاد الوجود، من الرباني في الدعاء، والنفساني في الخوف، والاجتماعي في الظالمين، والجسماني في فراره إلى مدين من القتل. لذلك هي {القصص} بتعبير الله تعالى عنها.

{لا تخف نجوت من القوم الظالمين} بسببي. كما نجوت من القتل بسبب أمك واليم. وكما تحقق الوعد لأمك بالرد بالأسباب من أمك إلى اليم إلى أختك إلى ما هنالك. فالله يفعل في الأسباب، والأسباب حجاب للفاجر الغافل وتجلي للذاكر العاقل.

{قالت إحداهما يا أبتِ استئجره إن خير من استئجرت القوي الأمين} القوي لأنه دافع الرعاء، والأمين لأنه لم يشرب من الماء.

{قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك} لماذا ثماني وعشرة؟ لأن والدها أنفق على أمّها وهي ترضعها لمدة سنتين، وهذا يحتمل أن يكون إنفاقاً على زوجته ويحتمل أن يكون إنفاقاً على ابنته التي ترضعها زوجته. ثم بعد ذلك ثماني سنوات أنفق عليها حتى بلغت، وكانت تأكل وتستهلك بدون أن تعمل. فإذا جمعت هذا وذاك، صار {ثماني حجج} تعمل لدي كما عملت أنا لدي ابنتي التي ستأخذها مني بدلاً من أن تعمل هي لدي كعدل ولإقامة ميزان العدل الكوني. {فإن أتممت عشراً} أي مقابل سنتين الرضاعة، إن أتممت ذلك {فمن عندك} وتكون قد وفّيت العدل كامل حقه، وإن لم تتم عشراً فلا شيء عليك لأن الأمر محتمل من الأصل.

{وما أُريد أن أشقّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين}، هل نكح موسى البنت من أول يوم مع الوعد بأنه سيعمل لدى الشيخ عشر سنين أم كان الاتفاق العمل لمدة ثماني إلى عشر سنين ثم ينكحها؟ يحتمل هذا وذاك. أنا قلت "الأظهر أنه عمل وبعد إتمام العمل سينكحها، لأن الاتفاق كان أنكحك على أن تأجرني ثماني حجج، بالتالي قبل دفع الأجرة لن يحصل النكاح، مثل سأعطيك التفاحة على أن تعطيني عشرة دراهم فلا يتم العطاء إلا بعد أن يتم الدفع."، وقال صاحبي "نعم، بدليل قول الشيخ الكبير ستجدني، فإنها عبارة مستقبلية". نعم، لكن " ستجدني" تحتمل أيضاً أنك ستجدني في أمر عدم المشقة عليك والعمل الذي سأكلفك به "من الصالحين". لكن ليس بالضرورة. لأنه قد يقصد "ستجدني إن شاء الله من الصالحين" بمعنى ستعيش معي وعندي، وقد عرفت أنك يا موسى من الصالحين وأهل الله، فلن تجدني من المفسدين والمظلمين الذين تتعذب بمعاشرتهم ولا من الغافلين الذين تعذّبك صحبتهم.

{قال ذلك بيني وبينك، أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي} لم يضيّق موسى على نفسه. إذا كان أمامك طريق فيه ثلاثة اختيارات، وطريق فيه ستة، فاختر الذي فيه ستة. لا تضيّق على نفسك. أيها العمّال، اسعوا من أجل فتح أبواب راحتكم.

{فلا عدوان علي} فيه إشارة إلى ضد ما ذكرناه من قبل. أي فيه إشارة إلى أن موسى نكح المرأة من البداية، لأنه لو كان يعمل فقط بدون نكاح لما استحق عدواناً في حال قصَّر في قضاء الأجلين، إذ لكان عمله عطاء منه بدون أخذ أي مقابل فلا يستحق العدوان الذي يجبر ما أخذه من مقابل.

بناء على ما حسبناه من قبل، فموسى نكح المرأة إما وهي في العاشرة من عمرها إن كان قد نكحها قبل قضاء الأجل، وإما وهي في الثامنة عشرة إلى العشرين من عمرها إن كان قد نكحها بعد قضاء الأجل. ما بين هذه أحسن سن للنكاح في المجتمع القديم والمجتمع الحديث. في حال الفقر وصعوبة العيش والعمل البدني المضني والذي تتولى فيه المرأة من صغرها العمل فإنها تكبر أسرع فيكون الحد الأدنى هو المعمول به غالباً في الأمم (لدفع هذيان البعض، نُذكّر أن سن الزواج وقبول الجماع في أمريكا قبل فقط قرنين من الزمان كان سبع سنين للفتاة في ولاية ديلاوير، وما بين العاشرة إلى الثانية عشرة في باقي الولايات. والآن هو ما بين ستة عشرة وثمانية عشرة. فدعوا عنكم هراء الكذّابين من المعاصرين الحاقدين على الإسلام والمسلمين. ولا أظن أن ديلاوير وبقية الولايات كانوا "مغتصبي أطفال" بأجمعهم، أو " يعملون بالشريعة الإسلامية". أم ماذا؟ لا تنسى أن ذلك هو القرن الذي صنع أمريكا الحديثة وكتبوا الدستور ولائحة حقوق الإنسان المشهورة. فتأمل ولا تعجل). في حال صارت المعيشة أيسر والصحة أفضل والعمل بالبدن أقلّ، فإن الأمم ستميل بطبعها إلى تأخير سن الزواج ولن يصل فوق حد العشرين. ففي قصّة موسى الاحتمالين، لأنها تشير إلى الحدّين، الأدنى والأعلى، بشكل عام.

{والله على ما نقول وكيل} تعاقد الأحرار كلمتهم مع إشهاد ربهم. تعاقد العبيد مواثيق مكتوبة وشهود من غيرهم والتخويف بحكوماتهم البشرية لترهبهم.

...

{تدمّر كل شيء..فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم} هذه القنبلة التي يصنعونها الآن، تقتل الأناسي وتُبقي المباني. كل ما في القرءان من خير وشر سيصنعه الناس بأيديهم بإذن ربهم.

...

الشقي: مَن خسر صحبة ولي الله بعد إذ جاءته.

...

الولي: الذي يرى كل الخلق أولياء في الباطن، لكن يعاملهم بحسب ظاهرهم من الولاية والشقاوة.

...

{ألا تعبدوا إلا الله} تعني حين يقولها الرسل: طاعة الرسل وعدم تقديم طاعة أحد على طاعتهم. التوحيد صناعة جماعة روحية سياسية، وليس مجرّد همهمة في السر بلفظ مخصوص. "نجب دعوتك ونتبع الرسل" هذا ما سيقوله الأشقياء في الآخرة، ولن يقولوا "نؤمن بوحدة الوجود" أو "نعتقد بأنك على صورة شاب أمرد".

...

{صرفنا إليك نفراً}

صرفنا إليك، فابقَ مكانك وأعلن القرءان، ولا تجري وراء الناس. هم سينفرون إليك، ولا تنفر أنت إلى أحد.

{من الجن}

الذين يعلمون الظاهر ويأخذون بالمظاهر. هؤلاء حين يرونك مُظهراً للقرءان سيأتونك بصرف الله لقلوبهم إليك، حتى يحفظ الله بهم ظاهر القرءان والرسالة ويعملوا في الأرض بالدعوة إليك.

{يستمعون القرءان}

يستمعون الألفاظ العربية ويعقلون مفاهيمه الذهنية. عند الجن، القرءان بدن وذهن. بدنه النغمات، وذهنه التصورات. لكنهم لا يعلمون الغيب، أي لا ذوق لهم في حقيقة القرءان وروحه الربانية. لذلك يلبثون في العذاب المهين الذي هو حمل اللفظ والتصورات فقط، ولا يصلون إلى نعيم الروح والحقيقة. للجن قيمة إن استقاموا على ما هم عليه بدون محاربة أهل الروح وإنكار ما هم عليه.

{فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين} صاروا رسلاً للرسول. هكذا القرءان حين يصدر من النبي وصاحب الروح الحية الحقة، يجعل المستمع المنصت رسولاً. فهو كتاب لرسول لصناعة رسل. استمعوا لألفاظه وأنصتوا ليستوعبوا أفكاره، ثم صاروا رسلاً للرسول {يا قومنا أجيبوا داعي الله}. كل ما في القرءان يدعو إلى الرسول، والرسول يدعو إلى

الله. فمن وجد القرءان ولم يجد الرسول عنده فقد ضلّ، ومن وجد الرسول ولم يجد الله عنده فقد كفر.

...

مجلس ذكر:

تقرأون الفاتحة جهراً سوياً.

ثم تقرأون "يا أيها الذين ءامنوا، اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً. هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور، وكان بالمؤمنين رحيما".

ثم مائة مرة تقولون كل كلمة من هذه الكلمات:

الله الله.

بسم الله، سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر، لا حول ولا قوة إلا بالله، تبارك الله، تعالى الله، استغفر الله، حسبي الله.

ثم تختمون بواحدة: هو.

ورد تعليق بعد نشر هذه الطريقة وأذكره أدناه:

قال: ما أجملها من صيغة ولو ضفت الصلاة على النبي لأكملتها.

أقول: ذكر الله عالي لا يُعلى عليه، وكامل لا يحتاج إلى تكميل بشيء. ثم بقراءة القرءان أنت تصلي علي النبي فنحن لم نقرأ القرءان ونذكر الله هكذا إلا بعد تعليم النبي وإمداده لنا بالنور. ثم كل صيغة ذكر يمكن أن نفرض لها "تكميل" بصورة أو بأخرى، فلا داعي لجعل كل مجلس هو المجلس المطلق من كل وجه وبكل اعتبار ومن كل زاوية.

...

اللهم أحيني ما كانت الحياة زيادة لي في العلم ووسيلة لي للتعليم. وتوفّني إن تمّ رزقي من العلم في هذه الدنيا. وتوفّني إلى رحمتك وجنتك سالماً غانماً.

...

صاحب القرءان لا ينبغي أن يكون له أب ولا أم ولا ابن ولا بنت ولا أخ ولا أخت ولا زوج ولا عشيرة ولا مال ولا تجارة ولا سكن. صاحب القرءان أبوه الروح، وأمه الطبيعة، وابنه كتابه،

وابنته كلمته، وأخوه الدارس، وأخته القارئة، وزوجه معينه في نشر علمه، وماله التوكّل، وتجارته التعليم، وسكنه أرض الله. إما هذا، وإما سيجد صاحب القرءان الكثير من النيران. لا تُبقي على علاقة إلا بعد أن تكون ناظرة إليك من حيث أنك صاحب قرءان وعرفان وبرهان، أي صاحب علم، وإلا فانحرها ولا تبالي بها والله سيعوضك خيراً منها بل الله خير منها ولا تنتظر تعويضاً. يحسب أكثر الناس صحبة القرءان مجرد ترف يضيفه الإنسان لحياته ويتسلى به، كلا، صحبة القرءان لعلاقات وأشياء الدنيا مثل سقر التي لا تُبقي ولا تذر، وتحرق قليلاً قليلاً حتى تطهّر روح القارئ الكاتب وتنفي عنه خبث العلاقات الدنيوية والارتباطات الظاهرية. قال النبي "أنا مدينة العلم وعلي بابها" لماذا؟ لأنه قال "المدينة تنفي خبثها". صاحب القرءان هو الأنا النبوية، وهو مدينة العلم، التي يقف علي على بابها ينفي خبثها، بل مجرد نظر الخبيث إلى مدينة العلم كاف لكي ينفي نفسه بنفسه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً. مدينة العلم لا يسكنها إلا أهل العلم. بالتالي لا ارتباط بالأنا النبوية إلا برابط العلم، والإيمان بالنبوة. ما سوى لك لا قيمة له ولا وزن، وهو خبث ينبغي نفيه. بذي الفقار اقطع فقرات كل علاقة ما سوى الصحبة العلمية أو خدمة هذه المدينة القدسية. المدينة لا تحتمل الخبث، كذلك الروح القدسية لا تحتمل بشراً ولا شيئاً منفصلاً عن الرابطة الإيمانية. "يواري سوءة أخيه" لأنها ظاهر بلا باطن، جثة بلا روح. كذلك ينبغي التواري وموارة كل شخص وشيء لا رابطة روحية بينك وبينه. ستشعر بالموت، ستشعر بظلمة حين تُقدم على ذلك. هذا الموت عبارة عن عزرائيل إرادتك ينتزع الحبل الذي يربط بين نفسك وبين هذا الشخص والشيء الخبيث. وهذه الظلمة عبارة عن خلوّ المكان النفسي من صورة الشخص والشيء الخبيث. فلا تتردد في قتله ولا تستوحش من خلوّ مكانه. الله هو الذي قتلهم لا أنت، "فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم". والله سيعوّضك مكانهم خيراً منهم "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير". لا تخف من الموت والظلمة، فإنهما مرحلة مؤقتة، وبعدها وعن قريب بإذن الله حياة ونور.

...

لماذا تعتمد على إنسان؟

إن كنت تقصد المال، فقد هدمت طريقك بيدك عبر عدم الاستقلال المالي.

إن كنت تقصد الأمن، فالمجتمع الحديث أمنه بيد شرطته.

إن كنت تقصد الإعانة على الصحة والمصيبة، فالمجتمع الحديث فيه معونة من الدولة في أمر الصحة والمصيبة.

إن كنت تقصد الوحشة، فالكفر أولى بك إذ لا يستوحش مَن الله أنيسه "يا نور المستوحشين في الظُّلَم".

إن كنت تقصد القدرة، فاستعن بالله.
إن كنت تقصد العزة، فالعزة لله جميعاً.
لماذا تعتمد على إنسان على حساب دينك؟ لا تفعل ذلك. واحفظ دينك ولو حصل ما حصل. وانظر إلى ربك وانتظره بالصبر به له.

...

من أخبث ما يعانيه أهل القرءان: أن يعاملهم أقاربهم على أنهم أقاربهم لا على أنهم معلميهم. احذر هذا. لا تعامل صاحب القرءان على أنه بشر مثلك من حيث ماديته، بل انظر إليه على أنه بشر مثلك لكنه ليس مثلك من حيث روحانيته، عامله من الجهة الروحانية واحذر سوء الأدب بل الكفر وأذيته عبر معاملته من جهة مادّيته. أهل القرءان رسل الله، ومعاملتهم بغير رؤية الله فيهم هو إيذاء لهم وإدخال للوحشة عليهم وجعلهم يكرهون هذا العالَم ومن فيه، فاحذر ذلك، فإن الله قال "الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم".

...

{حسبي الله}

حمد وسبحان وبسم ويا. هذه أركان الحسبنة.

فتقول "الحمد لله" على ما أنت عليه، لأنه إن كان خيراً فهو نعيم معجّل، وإن كان شرّاً فهي كفّارة من لدنه وهي خير للنفس والآخرة.

وتقول "سبحان الله" فتنزّه الله من النقص الذي أنت فيه وجعلك تحسبن، فقد جعلك في النفس لتتذكر كماله.

وتقول "بسم الله" فتربط نفسك به فتنجو من كل هلكة، وباسمه ترى الحكمة في كل شيء، وبقوّة ذكر اسمه يستنير كل شيء يقع بك.

وتقول "يا الله" فتدعو بكشف ما نزل بك، إذ "ورود الفاقات أعياد المريدين".

إذن، {حسبي الله} حمد وتسبيح وبسملة ودعاء. فالحمد والتسبيح نزول وعروج الصفات الإلهية. والبسملة والدعاء اتصالك به واتصاله بك بالفتوحات الربانية. فعلى أركان {حسبي الله} قام الدين ظاهراً وباطناً. فمن قوّة كفاية {حسبي الله} أن نفس كلمة {حسبي الله} هي حسبك وتكفيك من بقية الأذكار والأدعية. فحسبك الحسبنة.

...

الكاتب أمره كله خير.

إن خطر له ما يكتب فيه كان خيراً له وللناس. له لأنه يفيض روحه ويشكر نعمة الفكر. وللناس لتذكّرهم الجنّة بالكتب، وتفعيل إنسانيتهم بالقراءة.

وإن لم يخطر له ما يكتب عنه كان خيراً له وللناس. له لأنه ارتاح بالصمت. وللناس لأنه لم يتكلّف الكتابة فيختلق الأباطيل ولا ينطق من القلب فيفسد جو العالَم، ولأنه أراح الناس من واجب قراءة المكتوب ونشره إن كان حقاً وصواباً.

ليل الكتابة خير لأنه سكن، ونهار الكتابة خير لأنه فضل. الكتابة عالَم يجعل هذا العالَم جميلاً.

...

انظر إلى هذه المعضلة:

إن قلت للناس "أنا رسول" تصريحاً، ثم كفروا بي، دخلوا النار.

إن لم أقل للناس ذلك تصريحاً، ثم تكلّمت بمقتضى الرسالة، فلم يؤمنوا بها لأنهم لا يعرفون حقيقة المصدر، فكفروا بالكلام، دخلوا النار.

الرسالة ابتلاء للخلق. الصلة الحية بالله مصيبة لأكثر الناس، ونعمة للقليل من الناس. سينعم بها القليل، ويُلعَن بسببها الكثير. في سبيل القليل لن يبالي الحق بالكثير.

الرسول يسكت فينطق وجوده عنه ورائحة روحه المقدسة تنتشر غصباً عنه. لذلك لا يتحمّل أكثر الناس مجرّد النظر إلى الرسول أو حتى الاقتراب منه ولا يتحمّلون سماع صوته ولا الجلوس معه. لأن أكثر الناس من أهل النار، ونفوسهم خبيثة، فيتعذبون بمجرّد رؤية أهل الله ولو لم يعلموا أنهم أهل الله وحملة الرسالة. الأمر غير مبني على المفاهيم الذهنية، بل الحقيقة الكونية تقتضي ذلك. لا علاقة للذهن وأفكاره بالأمر. الذي نفسه خبيثة سيكره رسل زمانه، عرفهم أم لم يعرفهم، عرّفوا عن أنفسهم أم لم يعرّفوا عن أنفسهم.

لقد أرى الله عبري كثير ممن حولي من الآيات ما لو عرفه المجنون لعقل والنائم في الغفلة لأفاق. لكن مع ذلك كفروا أو نسوا أو لم يبنوا على ما عرفوه ما ينبغي من العمل. بعض من حولي رأى بنفسه وفي نفسه مرات كثيرة حدّثته بها بالغيب الذي وقع له، ومع ذلك فضّل الخروج عن طريقي وعن اتباعي. بعضهم كان في مصيبة فاستغاث بالله عبر خدمتي، فدعوت له فخرج من مصيبته، فلما استوى على برّ الأمان نسيني وأعرض عنّي واختار غيري عليّ بل اختار هواه عليّ. بعضهم عاشرته سنين طويلة، ورأى منّي ما لم يقرأه مثله إلا في الكتب أو حتى ما لم يقرأه في الكتب عن الأولين، ومع ذلك قرر النظر إلى سيئاتي وذنوبي التي لا يعلم عن حقيقتها شيئاً ولا يعلم عن سبب ابتلاء ربي لي بها خبراً، وأعرض عن الباقي والأساسي وكفر بي. هلك فيّ وبسبب موقفهم منّي الكثير، ولا زالوا يهلكون، ويحسبون أنهم مهتدون. لو أعرف إنساناً غيري على الأرض آتاه الله ما آتاني إياه أو كلّفه بما كلّفني به، لكنت بإذن الله واستمداد العون منه أول الناصرين له التابعين له. وقد سألت ربي ذلك كثيراً وأن يعرّفني إياه

حتى أنصره وأكون في خدمته ونشر دعوته وإعانته بالمال والنفس، لكن في كل مرة ومنذ أكثر من خمسة عشر سنة ويقال لي ما حاصله "أنت هو" و "أنت تبحث عن نفسك" و "أنت تهرب من نفسك إلى غيرك بينما المفروض أن يهرب غيرك إليك" و "لا تتخلى عن مسؤوليتك فيوجد من يبحث عنك كما تبحث أنت عن ولي الله" ونحو ذلك من المعاني. من يعرفني يعرف أني لم أجد ألذّ من أيام كنت أتعبّد فيها في خلوتي ومعي من الدنيا كلها قوتي وصاحبتي، ولا أريد شيئاً وراء ذلك من الأرض ومن عليها. لكن هكذا شاء الله، وليس لي من الأمر شيء. أخاف على الناس من الهلاك بسببي، والعذاب بسبب أذيتي، وهم لا يشعرون ويظنون أنهم يحسنون صنعاً أو لا يلقون بالاً إلى ما يؤذونني به ولو بردّ كلامي عليّ أو النظر إليّ بعين حادّة ناشئة من خباثة قلوبهم وهم لا يشعرون. أنا أرى العيون فأعلم ما خلفها، وأشمّ النفوس فأدرك ما فيها، وأحسّ القلوب فأرى غيبها، كل هذا بنور الله. لكنّي أسكت وأتغافل وأدعو للجاهلين وهم يظنون أني موافق على ما هم عليه بسبب سكوتي عنهم شفقة على التكلّم معهم، لأني إذا تكلمت وأنكروا كلامي وردّوه عليّ فلن يمهلهم الله، كلمتي هي مائدة عيسى التي بعد إنزالها لا يوجد للكافر بي إلا العذاب الأليم.

والطامة الكبرى أنني إن قلت شيئاً من هذا الكلام، سيوجد مَن يسمعه ويقول " مجنون" و "غرّ هذا دينه" و "الشيطان يلعب به" و "مخرّف صوفي" ونحو ذلك. وقلبي يحزن على هؤلاء. ومن هذا الشعور فهمت آية "لا تحزن عليهم".

أنا رحمة لمن آمن بي، ولعنة لمن كفر بي. ولن يؤمن أو يكفر أحد إلا بإذن ومشيئة ربي.

...

(خلاصة حوار دار بيني وبين قريب لي بالأمس)

قال: لماذا لا تأخذ مال من الناس مقابل ما تعطيهم إياه من كتب وتلقيه عليهم من دروس؟

قلت: أجري على الله. لو أخذت أجراً من الناس لما أخذت أجراً من الله. والدين يجب فصله عن المال تماماً، والفلسفة والروحانية وكل هذه الأمور تفسد إذا دخلها المال.

قال: وكيف تأخذ أجرك من الله؟

قلت: روحياً بما يمدّني به من مزيد من العلم والفكر الذي أعطيه لوجهه، وهذا أحد أسباب الفيض المستمر ولله الحمد وحده.

قال: لا، أقصد مادياً.

قلت: حتى في الدنيا، تتيسّر أموري المادية بدون طلب مني، ويعينني أصحاب لي في حال أزمتي بدون سؤال مني. وانظر وضعي الآن وسترى التيسير بغير سعي مني. لكن العبرة

بالآخرة وصلتي بالله. وصلتي بالله ستفسد إن سألت الناس أن يعطوني مالاً مقابل ما أعلمهم إياه وأنشره.
قال: حسناً، لا تأخذ أجراً، لكن خذ تبرعات. ضع عنوان للتبرعات ومن يريد أن يتبرع لك سيعرف أين يرسلها.
قلت: لا أمدّ يدي لتبرّعات قبل أن أموت بإذن الله. أعوذ الله، في جاهليتي لم أشحذ، سأشحذ بعد إسلامي. في جاهليتي لم آكل بعقلي، فهل بعد إسلامي سآكل بديني وبكلامي. لا أستطيع أن أحترم نفسي بمجرّد ما أتخيّل أني أقول "من يريد التبرّع لي ومساعدتي فليرسل لي كذا إن شاء". صورتي عند نفسي ستتكسر، فما بالك بصورتي عند غيري.
قال: أليس محمد أخذ خمس الغنائم وأنت من أتباعه.
قلت: خمس غنائم الحرب، نعم. ولأن في السياسة المحمدية لا يوجد جيش نظامي، فكل محارب إنما يدفع من جيبه ليجهّز نفسه عادةً للخروج للحرب بالتالي الغنائم تعتبر نوعاً من التعويض عن ما تكلفه وتكبده من عناء ووقت وخسائر ونحو ذلك. وأما الرسول فلأن النصر إنما ينزل على المؤمنين في الحرب لأنهم يطيعون الرسول، فبفضل مشاركته وبفضل بركته استحق جزءاً من الغنائم، والحق هو خمس الله وخمس الله ينقسم إلى خمسة أخماس للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهؤلاء هم الذين ببركتهم ينصر الله المؤمنين. فالرسول يأخذ خمس الخمس لنفسه، وحتى هذا كان يضعه غالباً بعد معيشته وأهله في مصالح المسلمين الحربية غالباً أي حماية أمنهم السياسي. فأين هذا من أخذ المال على تعليم القرءان والعرفان. في المال جاء "لا أسألكم عليه أجراً" و "مالاً" ولا جزاءاً ولا شكوراً. هذا نصّ في المسألة، وأما الغنائم فأقصى ما يمكن أن يقال أن الغنيمة مختلف فيها فقد تحتمل غنيمة الحرب فقط وقد تحتمل غنيمة الحرب والكسب أيضاً (كما يقول بعض الشيعة)، فالقدر المتفق عليه هو غنيمة الحرب، فيبقى الكسب مختلف فيه، فإذا جئنا إلى آيات التبليغ بدون سؤال أجر من الناس " اتبعوا من لا يسألكم أجراً" وغيرها من النصوص في المسألة، بالإضافة إلى كل مصائب وطوام أخذ الأحبار والرهبان الأموال من الناس على الدين وكل ما هو معروف في التاريخ، كان الأمر أظهر في الرفض. ثم الصدقة أوساخ الناس وأنا من آل محمد بالحق ونحن لا نأكل الصدقة.
قال: فماذا عن الهدية؟ هل لديك اعتراض على أن يعطيك شخص هدية ولو كان الشخص لن يعطيك الهدية إلا لأنه تعلّم منك القرءان وإنما عظّمك وقدّرك لأنه يتقرب إلى الله وإليك بالهدية؟
قلت: الهدية مقبولة عندي. لكن بشرطين. الأول بديهي وهو أن الشخص لا يسأل الناس أن يعطوه هدية، وإلا لما صارت "هدية". الهدية توهب ولا تُسأل. فمن أراد أن يهديني بدون سؤال

مني ولا حتى اهتمام لي بذلك ولن أعامله بأي نحو يجعله يتميّز عن غيره فقط لأنه أهداني خصوصاً في أمر العلم والكتابة والطريقة، فهذا أمر راجع له. ونعم أنا أعلم أن الذي سيهتم بي في نفسي أو في مالي ويعينني على طريقي هذا من قلبه وتقرباً إلى الله بخدمتي فإن الله سيفتح له فتوحاً عظيمة دنيا وآخرة، وسيريه كرامات أمام عينيه وفي حياته كما حصل ويحصل لأناس يفعلون ذلك الآن، لكن هذا كله لا علاقة لي به ولا أسأله أحداً وإنما يفلح من فعله من تلقاء نفسه وبسلامة قلب وكل واحد سيأخذ على قدّ نيته في هذا الأمر. لذلك أنا أقبل الهدية لأني أريد الخير لصاحبها لا لأني مفتقر إلى هديته. فهذا أول شرط، أي عدم السؤال مني وهو بديهي. ثاني شرط وهو راجع لقلبي ولا يستطيع أن يعرفه المُهدي، وذلك أني سأنظر في قلبي حين تُعرَض عليّ الهدية وسأرى إن كنت منشرحاً لقبولها أم لا، وسأنظر في روح صاحبها وأرى صفاء نيته بحسب ما يريني الله، لأني أنا المتفضّل عليه بقبول هديته وليس هو المتفضّل عليّ بإعطائها، فإن مال الناس كله هباء منثور إذ ينفقونه في الدنيا وشؤونها وهي فانية، لكن ما ينفقونه على أهل الله وحملة كتابه وخدمتهم فهذا المال الوحيد الذي سيبقى ويُبارَك، فالفقير أولى بالمنّة على الغني من الغني على الفقير، الفقير إلى الله أقصد والغني بالدنيا. فقد يعطيني الهدية بغير سؤال ومع ذلك أرفضها منه وأردّها عليه لأنه تبيّن لي عدم صفاء قلبه وأرى الهدية فأجدها خبيثة الباطن وإن كانت طيبة الظاهر فأرفضها. إذن، لو عرض عليّ هدية من عند نفسه وشعرت بأنها صادرة من قلب سليم سأقبلها بإذن الله وأستخير فيها، لكن مع ذلك لا أبني لا معيشتي ولا حياتي على مثل هذه النوادر إذ يندر مَن يريد الإهداء لأهل الطريقة المخلصين لله بمعنى الذين لا يريدون التدجيل على الناس وتكوين طوائف لاستعباد العامّة، ويندر أيضاً من بين هؤلاء من تصدر هديته تقرباً إلى الله وخدمة لأولياء الله بدلاً من محاولة شراء الاهتمام والشعور بالعلو على أهل الطريقة عبر الإهداء لهم. فمن مرّ من هذين الاثنين، قد نكرمه بقبول هديته. وهذا ما أعلّمه نفسي وأعلّمه كل أهل الطريق. هكذا يجب أن نكون كلنا. أي خروج عن هذين الشرطين فهو انحدار في هاوية لا يدرك قعرها إلا الله. فالحذر الحذر.

...

عند أهل المعرفة، السلام أفضل من الحرب.

عند أهل الغفلة، الحرب أفضل من السلام.

...

المجنون: طالب النعيم في الدنيا. العاقل: البعيد عن المجانين.

....انتهى والحمد لله.